Orient. Seminar
UNIVERSITÄT
78 Freiburg/Br.
Inv.
Az 14/8

المقتطف

الجزء السابع من المجلد الثاني والثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٧ — الموافق ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣٢٥

جراحة السفن

الجراحة فرع من الطب يراد بهِ مؤَاساة الجراح وبتر الاعضاء وجبر العظام وما اشبه. واستعمالها للسفن مجاز يراد بهِ على ما يسبق اليهِ الظن رأْب ما يقع فيها من الشقوق والثقوب. وقد لا يخطر ببال احد انهُ يقصد بها ايضاً بتر السفينة وقطع رأْسها اذا ادَّى ذلك الى سلامة بقية جسمها. ولكن هذا هو المراد بها هنا فقد حدث بالامس ان سفينة من اكبر السفن البخارية جنحت على صخر فثبت مقدَّمها عليهِ لا يتحرك فدعت الحال الى قطعهِ انقاذاً لبقية جسمها من التلف. والسفينة من سفن الشركة المعروفة بالنجم الابيض (هويت ستار) التي تسير بين اوربا واميركا واسمها سيوڤي وهي من اكبر السفن البخارية محمولها ١٢٥٠٠ طن كانت في السابع عشر من شهر مارس الماضي ماخرة في عرض البحر حتى دنت من جزائر سلي وكانت السماءُ متلبدة بالغيوم والجو اقتم وعصفت جنوب شديدة لكن ربان السفينة كان واثقاً انهُ لا يزال بعيداً عن تلك الجزائر وهي صخور قرب وجه الماء وما هي الاَّ لحظة حتى رأى سفينتهُ تثب عليها وتعلق بها

والسفينة كبيرة جدًّا كما تقدم طولها ٥٥٠ قدماً وعرضها ٦٣ قدماً. وكان ثقلها وثقل وسقها حينما جنحت نحو عشرين الف طن فزحف ثلثها على الصخور بعنف شديد قبلما امكن ايقافها وخرقتها الصخور فجعل الماءُ يفور اليها فوارانا ولكن دُبرت التدابير حتى انحصر في ثلثها المقدَّم الذي جنح وانزلت الزوارق كل ركابها الى البر فلم يفقد منهم احد

ووصل الخبر الى مقر الشركة في لڤربول فاسرع رجالها ومعهم المهندسون والغوَّاصون والرفاصات لانقاذها وبذلوا الجهد في ذلك فلم يأْتِ جهدهم بجدوى واخيراً عقدوا مجالس شورى وقرَّ قرارهم على انهُ لا ينجي السفينة من الغرق الاَّ قطع رأْسها الذي علق بالصخور فقطعوهُ على هذه الصورة

بنوا عليها بناءً متيناً من الخشب وراء آخر الحد العالق بالصخور حوَّطوها بهِ وانزلوا وسقها ولم يبقوا منهُ سوى الفي طن لتبقى بهِ ثابتة . ثم نشروا الخشب كلهُ حيث ارادوا قطع الراس الى ان وصلوا الى الحديد الذي تحتهُ ووضعوا على الحديد خطوطاً من خراطيش الديناميت الصغيرة ووصلوها بعضها ببعض بالاسلاك الكهربائية ثم اطلقوها بالكهربائية دفعةً واحدة فانفجرت وبترت ثلث السفينة حيث ارادوا بترها وبقي هذا الثلث عالقاً بالصخور وعام الثلثان الباقيان وفيهما الآلة البخارية فاديرت الى الوراء واعيد هذان الثلثان الى حوض الشركة في سوث همتون . ولا بدَّ من ان تعالج هناك وبوضع لها رأس جديد اذا تعذَّرت نجاة رأسها الاول . فالعملية جراحيَّة في شكلها هندسيَّة في مبدإِها وقد نجحت نجاحاً تامًّا وجاءت وافية بالغرض المطلوب منها . وترى في الشكل الاول من الاشكال المقابلة صورة هذه السفينة قبلما جنحت وفي الشكل الثاني صورتها بعد ما قطع رأسها وترك عالقاً في الصخور ومخر بقية جسمها راجعاً الى بلاد الانكليز

وقد حدث شيءٌ مثل ذلك تماماً منذ تسع سنوات فان سفينة بخارية من سفن نقل المواشي اسمها ملوكي اقلعت من نيوكسل ببلاد الانكليز في ١٥ سبتمبر سنة ١٨٩٨ قاصدة نيو اورلينس باميركا . وكانت من السفن المعدودة وتكاد تكون جديدة ومن اكبر سفن الشحن حينئذٍ فان محمولها ٧٣١٧ طنًّا ولم تسر طويلاً حتى لطمت بصخور تحت الماء وعلق مقدمها بها وتعذَّر عليها الخلاص منها وخرقها صخر كبير فدخل جوفها ودخل الماءُ معهُ ولكن سدَّت الابواب في طريقهِ فانحصر الماءُ في جانب منها واقبل المهندسون والموكَّلون بنجاة السفن فرأَوا بعد البحث المدقق انهُ لا يمكنهم انقاذها الاَّ ببتر ثلثها العالق بالصخور فيبقى منها الثلثان وان البتر لا يكون الاَّ بالديناميت ولكنهم لم يطلقوا الديناميت دفعةً واحدة كما فعلوا في السفينة المتقدمة بل اطلقوهُ دفعات متوالية الى ان انفصل ثلث السفينة الذي فيهِ مقدمها عن الثلثين وفيهما الآلة البخارية . ولقي المهندسون في هذه العملية الجراحية اشد العناء وكاد احد الغواصين الذين يضعون الخرطوش يغرق . ثم دخل الماءُ الى الثلثين وكاد يغرقهما ولكن همَّة المهندس ومهارتهُ تغلبتا على كل المصاعب . واعيد الثلثان سالمين الى نيوكسل في الرابع من شهر اكتوبر ووضع لها مقدم جديد وصحَّ بذلك خيال الشاعر الذي قال ان السفينة جسم حي متحرك فان العمليات الجراحية تعمل فيها كما تعمل في الاجسام الحية

وترى في الشكل الثالث رسماً خيالياً لهذه السفينة يظهر فيهِ الجزءُ الذي قطع منها وهو الجزءُ المخطط وفي الشكل الرابع صورة حقيقية لثلثيها اللذين انقذا

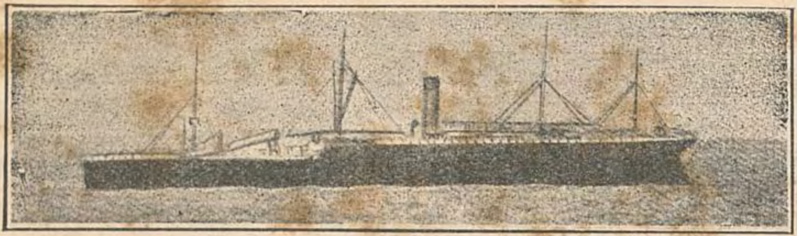

١

٢

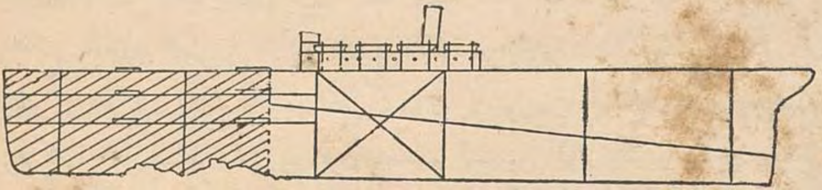

٣

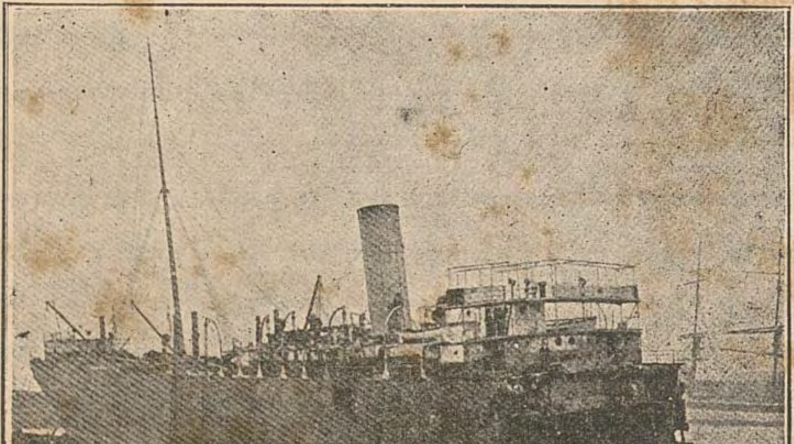

٤

التوقيت القديم

ان من يقرأُ الكتابات الاثرية على الصخر والحجر والاجر وغيرها يرى ميل الانسان شديدًا لكتابة وقائع زمنهِ وذكر وقت حدوثها وقد اصطلح الناس على تسمية كتابة الحوادث تاريخًا واما ذكر الوقت الذي جرت فيهِ الحادثة المروية فلم نجد لهُ اسمًا مخصوصًا في لغتنا العربية يدل عليهِ كما تدل كلمة Chronology او Chronologie بالانكليزية او الفرنساوية وفي امثالهما من لغات الشعوب الراقية لان علماء تلك الامم لما احتاجوا الى تسمية هذا العلم الحديث اخذوا من اليونانية اصلاً وركبوا منهُ الكلمة واما نحن فانا كثيرًا ما نجد في لغتنا العربية كلمات يمكن ان نعالجها بالعدل عن اصلها فتؤدي المعنى المطلوب وعملاً بذلك اخذنا كلمة توقيت لاداء المعنى المقصود . وكلمة توقيت مصدر وقَّت وهي على ما في كتب اللغة ما جعل لهُ وقت يعمل فيهِ

ويتضح من القاء النظر على الآثار القديمة المتخلفة عن الامم السابقة ان مناهج توقيتها مختلفة غير ان اهم تلك المناهج ما وجد على كتابات الاشوريين . والاشوريون على ما يعلم من امرهم كانوا اهل نشاط وعمل يصرفون وسعهم لتسهيل اعمالهم والسير بها في سبيل لا يجدون في اجتيازهِ عثارًا فمنهاج توقيتهم موضوعٌ بحيث لا يماثلهم فيهِ غيرهم من الامم وبحيث لا يتطرق اليهِ الخطأُ في حسابهم ذلك انهم كانوا في عقودهم ومراسلاتهم وتاريخهم وغير ذلك من شؤُونهم القلمية التي كانوا ينقشونها على الاجر المشوي او المشمَّس او على الصخر والحجر او غيرها يوقتون سنتهم بنسبتها الى اسم زعيم يقيمونهُ لتلك السنة ويعرفونهُ باسم ليمو فاذا ارادوا توقيت حادثة قالوا جرت في زمن الليمو فلان فعرفت السنة من معرفة صاحبها لان القوم كانوا يحفظون جداول باسماء اولئك الزعماء فلا يفوتهم علمها عند مسيس الحاجة . وكأن تلك الجداول كانت مستفيضة بين الناس لانهُ ظهر منها حتى الآن عددٌ كبير

وقد ظهر للباحثين ان الزعامة المحكي عنها تحاكي منصب الاراخنة عند اليونان والارخون هو الرئيس او المقدَّم

ومما يبرهن على مكانة الليمو عند قومهِ ان الملوك في صدر الدولة كانوا يتولون هذا المنصب في بدء تبوئهم سرير الملك

وكلمة ليمو غير معروفة الاصل تمامًا وكاد قراء الاثر لا يضبطون قراءتها لولا انها وردت

ايضاً في الصفائح الاثرية المكتوبة باللغتين الاشورية والارامية فوجدها العلماء مكتوبة بالاولى بما يقارب لم وبالثانية بما يقارب لام فاذا اعتبرنا غرض هذه الزعامة على ما هو ظاهرٌ على الآثار وهو اطلاق اسم الزعيم على السنة ليكسبها صفة العلميَّة ففي ذلك وفي مصالحهِ الاخرى التي تقتضيها طبيعة الزعامة جمعٌ لاراء الامة على تسوّدهِ فيها ومن هذا نرى ان الكلمتين العربيتين لمّ ولأمَ تؤدّيان معنى الجمع والسيادة لا سيما وان الرجل الملم انما هو الذي يجمع القوم

ولا غرابة في اقتراب الكلمات الاشورية والاراميَّة من العربية لان هذه اللغات شقائق ولهنَّ اخوات اخرى من الساميات وكلهنَّ اخذن اصولاً واحدة ثم توسعت كلٌّ منهنَّ على اهوائها

ولم يهتدِ الباحثون الى حقيقة منشإ هذا التوقيت الاشوري لانهُ لا يخلو اما ان يقال باخذهِ في جملة ما اقتبسهُ الاشوريون عن سابقيهم الكلدان او غيرهم من الامم التي كانت لها السيادة والصولة في ما بين النهرين او ان يقال بنشأتهِ عندهم وهذا ارجح لانهُ لم يظهر من آثار الكلدان ما يدل على اعتمادهم هذا النهج فضلاً عن ان وطنية نشأتهِ الاشورية ظاهرةٌ من قدم عهدهِ بينهم فترى انهُ وجدت كتابة اثرية تنسب لريمون نيراري الاول (يظن انهُ ملك حوالي سنة ١٣٤٠ ق٠م) وهي موقتة في زمن الليمو شلمنصّر ابن الملك (وهو الذي خلفهُ على اريكتهِ حوالي سنة ١٣٢٠ ق٠م)

ونحن نعلم ان اشور غلبت الكلدان على ملكهم في زمن تغلث اوراس خلَف شلمنصر وان الاشوريين الغالبين لم يكونوا من صبغة مغلوبيهم في الجنس واللغة والعادات والمناهج وانهم بامتزاجهم بالكلدان اخذوا عنهم كثيرًا من السنن والشؤُون ولكنهم صبغوهم بصبغتهم الساميَّة في اللغة والعادات حتى كادت تضيع من بينهم مميزات الكلدانيَّة — كل هذا لا يمكن ان يتم وقوعهُ في زمن قصير ولا يستطاع معهُ القول باخذ الغالبين منهاج توقيتهم عن المغلوبين لا سيما وان الكتابة الاثرية دلت على ان المنهاج كان معتمدًا قبل الفتح

بقي ان نذكر امرًا آخر يستفاد من التاريخ ذلك ان المؤرخ سيمبليشوس Simplicious يقول ان كاليستنس Kalisthenes ارسل من بابل الى ارسطوطاليس الارصاد الفلكيَّة التي وجدها هناك من صنع الكلدان وان زمنها يبتدئ قبل ارسالها بالف وتسعمائة وثلاث سنوات ونحن نعلم ان كاليستنس كان مرافقًا للاسكندر المكدوني في فتح بابل سنة ٣٣١ ق٠م فاذا اعتمدنا ذلك يكون ابتداء تلك الارصاد سنة ٢٢٣٤ ق٠م وهو زمن يقرب من العصر المحسوب لنشأة الدولة الكلدانية

واذا صحّ ما نسب الى الكلدان من نهضة العلم والادب عقيب تأسيس دولتهم باهتمام ملوكهم الاولين كما دلت على تأييد هذا القول الكتابة الاثرية المشهورة بنسبتها لملكهم خمورابي صحّ لنا الاستنتاج ايضاً ان القوم اعتمدوا في توقيت ازمنتهم نتيجة الارصاد الفلكية كما اعتمدها من بعدهم خلفاؤُهم البابليون على عهد نبوناصر فاقتبسها منهم اليونان

واما البابليون فانهم لما استقلوا عن الاشوريين السائدين فيهم لم يعتمدوا منهاج الاشوريين مع اعتيادهم عليهِ قروناً طوالاً بل شرعوا يوقتون بما مرّ على ملوكهم من السنين وهم جلوس على الاريكة . كأن يقولون في السنة العاشرة للملك فلان . او يوقتون بسنيّ الاسرة المالكة فيجرون في توقيتهم على نمط الموقتين بسني الملوك . الّا ان الصكوك وسائر ما كانت تقتضيهِ المعاملات لم تكن تجري في توقيتها على هذا المنهاج وذلك منذ نشأَت الدولة او بعبارة اخرى من ايام خمورابي بل كانت توقت بالحوادث المهمة التي طرأَت على البلاد واثرت في الاهلين كالحروب والفتوحات واحتفار الترع وامثالها

وهذا الضرب من التوقيت يعسر حلهُ على الباحثين في هذا العهد لان الحوادث المتخذة قاعدةً ويراد الرجوع اليها ليست مما يسهل معرفة زمان وقوعهِ ليستطاع حسبان الوقت المقصود منها

وظلوا على هذه المناهج حتى زمن ملكهم نابوناصر فاتخذوا الارصاد الفلكية وصاروا يعتمدون التوقيت منذ اتخاذها اي سنة ٧٤٧ ق.م

اما المصريون والفرس فالظاهر انهم جروا على منهاج التوقيت بسني ملوكهم ولذلك لا يظن ان لهم مناهج خاصة بخلاف العبرانيين فان المعروف عنهم انهم منذ تحضروا وتأسست دولتهم وشرعوا يكتبون جعلوا يعتمدون في توقيتهم الزمن الذي ظنوا الخليقة جرت فيهِ او الزمن الذي حسبوهُ لعصر ابي الاباء ابرهيم وهو سنة ٢٠١٥ قبل المسيح

اما اليونان فانهم انشأُوا الالعاب الاولمبية ترويضاً لاجسامهم وتمريناً لقواها فاصبح حضيض جبل اولمبوس (الفاصل بين مكدونيا وتساليا والمعروف اليوم بجبل لاشا) مشهداً عظيماً يقصدهُ الناس من كل فجّ سحيق للمشاركة في الالعاب او لمشاهدتها وذلك مرةً كل اربع سنوات . وفي سنة ٧٧٦ ق.م حاضر فيهِ رجلٌ من مشاهير محاضيرهم اسمهُ كوريبوس Coraebus فنال قصب السبق ورنَّت حصاة غلبهِ في اقطارهم ودوَت على اثرها شهرة الالعاب فاتخذوها زمناً يرجعون اليهِ في توقيتهم

وبما انهم كانوا يطلقون على زمن الالعاب اسم اولمبياد Olympiade ويجعلون الفترة

اربع سنوات بين كل اجتماع وما يليهِ شرعوا يوقتون بالسنة والاولمبياد كأن يقولون مثلاً في السنة الرابعة من الاولمبياد العشرين فلا تفوت احداً منهم معرفة الزمن المقصود . وكلمة اولمبياد مشتقة من اسم الجبل اولمبوس

وبما ان نشأة هذه الالعاب معروفة العصر فمعرفة ما أُرّخ بها ليس عسيراً على باحثي هذا الزمن . ثم ان لليونان زمناً آخر يرجعون اليهِ في توقيتهم وهو سنة ١٥٦٢ ق م ويعرفونهُ بزمن سيكروب Cécrops نسبةً لرجلٍ انشأ نزالةً في بلادهم . ولما استفحل امر الاسكندر المكدوني جعل قومهُ يوقتون بزمنهِ اي سنة ٣٢٤ ق.م

وكأن اليونان شعروا بما جنوهُ من العزة والمنفعة عقيب فتوحاتهم ورأَوا انهم غيَّروا بها كثيراً من الشؤون القديمة فنهضت البلاد التي دانت لسلطتهم واتخذت مناهجهم وما لبثت ان تدرجت في انتحال مناحيهم فادركوا ان هذا الانقلاب عظيم الاثر في نفوس الناس وانهُ يخلد ذكر زمانهِ فجعلوا كل فتح تسنَّى لهم زمناً يرجع اليهِ المنتفعون بهِ في توقيتهم واعظم ما كان ظهور ذلك عقيب تأسيس الممالك التي وليّها خلفاء الاسكندر

فالسلوقيون الذين ملكوا سوريَّة وبين النهرين وامتد ملكهم الى اقطار شاسعة جعلوا قاعدة توقيتهم زمن نشأة دولتهم اي سنة ٣١٢ ق م وعُرف ذلك بالزمن السلوقي وهو اكثر الازمنة القديمة انتشاراً فترى كثيراً من الآثار تعتمدهُ لاسيما في سورية كما يرى مما عرف عن مدائنها المهمة كانطاكية وافامية ودمشق وصيداء وطرابلس وصور وغيرهنَّ

واما الرومانيون فانهم كانوا يوقتون اولاً بزمن بناء عاصمتهم رومة اي حوالي سنة ٧٥٣ ق.م فلما كانت سنة ٢٤٥ لرومة اي سنة ٥٠٨ ق.م انقلبت ملكية الرومان الى جمهورية فشرع القوم يوقتون من ذلك العهد وظلوا على نهجهم هذا حيناً من الدهر. ثم ان المدائن والاقطار الشرقيَّة خصوصاً لما دانت للسلطة الرومانية اخذت توقت بزمن خضوعها اعتبر ذلك بما كان من القطر السوري عقيب حملة بومبيوس الروماني عليهِ واكتساحهِ سنة ٦٣ ق.م فانهُ لما دان للقوة الغالبة وضُمَّ للدولة الرومانية شرع القسم الاعظم منهُ يتخذ سنة الفتح زمناً لتوقيتهِ واهم المدائن التي نحت ذلك النحو انطاكية وابيلا ودورا وسلوقية وطرابلس وغيرهنَّ

ثم عاد الرومان فاتخذوا قاعدةً اخرى لتوقيتهم تبتدئ سنة ٤٨ ق.م وتُدعى الزمن القيصري الانطاكي ولكن البحث في الآثار يدل على ان تلك السنة لم تعتمد زمناً الاَّ في عكاء من سوريَّة حتى ان انطاكية نفسها اعتمدت سنة ٤٩ ق.م واتخذ يوليوس قيصر سنة ٤٥ ق.م قاعدةً لزمن يعرف باليولياني نسبةً اليهِ وجرت عليهِ بعض الاقطار

وسنة ٣٨ ق٠م اجتاح اغسطس قيصر بلاد اسبانيا واسمها يومئذٍ ايبريا واخضعها فنشأ من فتوحها عهدٌ يوقتون بهِ ويعرف بالزمن الايبيري فجرت عليهِ بعض المدن٠ لكن البلاد لم تقف في متابعة عاصمة الدولة السائدة على قاعدة توقيتها بل كانت كل بلدةٍ منها تتخذ ما شاءت من القواعد ولذلك تعددت في تلك الآونة القواعد حتى انَّا لو اردنا ان نسرد ما عرف منها اليوم لضاقت عن جدولها صفحة من المقتطف

فتعداد هذه الازمنة وتنوع ضروب التوقيت من اعضل المسائل التي تعرض لعلماء الآثار في حلّ الكتابات الاثريَّة المتخلفة عن تلك العصور ومن اعسرها ايضاً

اعتبر ذلك بما عرض للعلاَّمة كلرمون كانو الاثري الفرنساوي المشهور فقد ارسل اليهِ المستر ليتفت فيس قنصل الدانمرك في بيروت عشرات من الكتابات الاثرية التي وجدها في حوران فقرأَها واثبتها في الجزء الاول من كتابهِ النفيس المسمَّى الآثار الشرقية وكان من جملتها اثر وجدهُ المستر ليتفت في قرية المجيدل من حوران مكتوب باللغة اليونانيَّة ويشير الى بناء حصنٍ مما اعتاد الرومان تشييد امثالهِ واسم بانيهِ روفوس ماغنوس اي الكبير وفي هذا الاثر توقيت غريب ذلك انهُ قيل فيهِ سنة ٦٨٩ لدمشق

ولقد كان الاثريون يعهدون الدماشقة يوقتون بالزمن السلوقي الذي يبتدئ سنة ٣١٢ ق م وعليهِ تكون الكتابة موقتة سنة ٣٧٧ مسيحية . الاَّ ان ورود قولهِ لدمشق بعد ذكر السنة ٦٨٩ لفت انظار العلاَّمة كلرمون كانو الى ان كتبة الآثار لم يوردوا مثلها من قبل٠ فخطر لهُ ان موقع المجيدل بين ارباض دمشق وحوران والاولى كانت تعتمد الزمن السلوقي كما تقدَّم واما الثانية فتتبع قاعدة بصرى وهذهِ تتخذ سنة ١٠٥ ق م زمناً لتوقيتها فاستنتج من ذلك ان نسبة زمن الكتابة لدمشق تخصيص لها بهِ يخرجها عن الظن بمتابعة بصرى ولكن بقي ثمت اشكال آخر وهو ان هذا التخصيص لم يأْتِ بهِ غير هذا الاثر ولا بدَّ فيهِ من سببٍ آخر غير ظاهر القصد من الرجوع فيهِ للزمن السلوقي بحيث لو كان المقصود ذلك الزمن السلوقي لاشير اليهِ بكلمة اخرى لا تخصصهُ بالدمشقي

وبعد امعان الفكرة طويلاً ارتأَى رأياً ربما كان اقرب الى الصواب من متابعة الزمن السلوقي البحت ذلك ان المؤرخ سيمبليثيوس عند ذكرهِ بدء السنة عند الشعوب المختلفة يقول ان الاثينيين يبتدئون بسنتهم من الانقلاب الصيفي واما الاسيويون فيبدأُون بها في الاعتدال الخريفي بخلاف الرومان فانهم يبدأُون في الانقلاب الشتوي ولكنَّ العرب والدماشقة يبدأُون بسنتهم في الاعتدال الربيعي . وعلى هذا جزم ان الدماشقة كانوا يعتمدون

الزمن السلوقي ولكن سنتهم لا تبتدئُ في اول تشرين الاول (اكتوبر) كما يبتدئها عامة معتمدي الزمن السلوقي من اليونان ومن جرى مجراهم من السوريين والمشارقة بل تبتدئُ في الثاني والعشرين من آذار (مارس) وبهذا لا تطابق بين سني الزمنين السلوقي والدمشقي . ورأى ايضًا ان الدماشقة لم يتخذوا زمنًا مخصوصًا بهم كما فعل اهل بصرى بل اختلفوا عن اصحاب الزمن السلوقي في بدء السنة فقط بحيث لا يكون الفرق بين الزمنين الاَّ نحوًا من ستة اشهر

فمن هذا المثل يتضح للقارىء عظم العناء الذي يعانيهِ اهل البحث والتدقيق في حل مشكلات التوقيت القديم

على ان تعدد قواعد التوقيت لم ينحصر في سورية وغيرها من الاقطار الشرقية بل ان الرومان اكثروا من تعيين ازمنةٍ يرجع اليها في التوقيت وحسبنا ان نشير الى ان الاسكندرية اعتمدت زمنًا يبتدئُ سنة ٣ للمسيح وان سنة ٧ م جعلوها قاعدةً واطلقوا عليها اسم الزمن الاسكندري المصحح ثم اعتمد المصريون بعد ذلك زمن ديوكلتيانوس سنة ٢٨٤ م وسموهُ زمن الشهداء واعتمد الارمن زمن المجمع الخليكدوني سنة ٥٣٢ واما في القسطنطينية فانهم كانوا يعتمدون زمن الخليقة حسبما حسبوهُ اي سنة ٥٥٠٨ ق م ويُدعى زمن قسطنطين وظلَّ القوم عليهِ في روسيا حتى زمن بطرس الاكبر

وثمت ازمنة اخرى موضعية او غير عامة الاَّ ان اهم الازمنة المعتمدة بين الناس لهذا العصر زمنان الاول المسيحي ويبتدئُ منذ ١٩٠٧ سنة والزمن الهجري وبدوءُهُ منذ ١٢٨٥ سنة اي سنة ٦٢٢ م

وقد ابتدأ الناس يستعملون التاريخ المسيحي منذ نحو ١٤٠٠ سنة فان رجلاً اسمهُ ديونيسوس اكسيغيوس رئيس دير روماني حسب ميلاد المسيح في الاولمبياد المئة والرابع والتسعين او سنة ٧٥٣ من تأسيس رومية وقال باستعمالهِ مبدأ للتاريخ فشاع استعمالهُ رويدًا رويدًا من غير ان تعضدهُ سلطة دينيَّة او زمنيَّة وهو الآن اكثر التواريخ شيوعًا . واول من جعل الهجرة بداءة التاريخ الهجري من دون اضافة السنة الى شيء تعرف بهِ الامام عمر بن الخطاب

وقد حدانا الى الكلام في هذا الموضوع ما نراهُ من تهافت بعض ادبائنا على معرفة آثار بلادهم التي يعني علماء الفرنجة بدراستها وحلّ اشكالها . فعسى ان تفيد ابحاثنا وتغني اللبيب عن مراجعة المطوّلات ر . ن

المحاضرة الشعرية

(تابع ما قبلهُ)

وروي ان ابن ادريس كان ليلة بين يدي المنصور بن ابي عامر والقمر يبدو تارةً ويخفيهِ السحاب تارةً اخرى . فاقترح عليهِ ان يقول شيئًا في ذلك بديهًا فقال

اری بدر السماء يلوح حينًا   فيبدو ثم يلتحِفُ السحابا
وذلك انهُ لما تبدَّى   وابصر وجهك استحيا فغابا

قيل وجلس ابو اسحق البخيرميُّ عند كافور الاخشيدي فدخل عليهِ ابو الفضل بن عياش فقال ادام الله ايامِ مولانا وكسر الميم من ايام فتبسم كافور الى ابي اسحق ففطن ابن عياش لذلك فقال

لا غروَ ان لحن الداعي لسيدنا   وغصَّ من دهشٍ بالريق والبهرِ
فمثل سيدنا حالت مهابتهُ   بين الاديب و بين القول بالحصرِ (١)
وان يكن خفض الايام من دهشٍ   في موضع النصب لا من قلة البصرِ
فقد تفاءلت من هذا لسيدنا   والفأل مأثورهُ عن سيد البشرِ
بان ايامهُ خفض بلا نصبٍ   وان دولتهُ صفوٌ بلا كدرِ

فامر لهُ بثلاثمائة دينار وللبخيرمي بمائتين

وكان ابو الفضل الدارمي ليلة مع بعض اصحابهِ وبين ايديهم شمعة فافضى حديثهم الى وصفها فاطرق بعضهم لينظم فيها فابتدر ابو الفضل

ذهبنا فاذهبنا الهموم بشمعةٍ   غنينا بها عن طلعة الشمس والبدرِ
اقول وجسمي ذائب مثل جسمها   ودمعتها تجري كما دمعتي تجري
كلانا لعمري ذوب نار من الهوى   فنارِكِ من جمرٍ وناريَ من هجرِ
وانتِ على ما قد تقاسين من اذًى   فصدركِ في نارٍ وناريَ في صدري

وجلس المعتمد بن عباد يومًا فانشد بعض جلسائهِ قول ابي الطيب

اذا ظفرت منك العيون بنظرةٍ   اثاب بها مُعيي المطيِّ ورازمه (٢)

فاستبدعهُ المعتمد واستحسنهُ وجعلهُ ابدع ما للمتنبي فارتجل ابن وهبون المرسي

لئن جاد شعر ابن الحسين فانهُ   بجود العطايا واللُّها تفتح اللَّها (٣)

---

(١) الحصر حبسة اللسان - (٢) اثاب شفي والمطي النياق . وبعير رازم اي لا يقوم هزالاً
(٣) اللها الاولى العطايا والثانية لحمة في الحلق وهو مثل

تنبأ عجباً بالقريض ولو درى   بانك تروي شعرهُ لتألَّها

وجلس يوماً والبزاة تعرض عليهِ فاستحث الشعراء في وصفها ارتجالاً فقال ابن وهبون

للصيد قبلك سنةٌ مأثورة   لكنها بك ابدع الاشياء
تمضي البزاةُ وكلما امضيتها   عارضتها بخواطر الشعراء

وكان عبدالله البلنسيُّ مع ابن خفاجة في جماعة من اهل الادب تحت دوحة خوخ منوّرة فهبت ريح اسقطت عليهم بعض زهر فقال ابو عبدالله ارتجالاً

ودوحةٍ قد علت سماءً   تطلعُ ازهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها   فخلتها ارسلت رجوما (١)
كأنما الجوُّ غار لما   بدت فاغرى بها النسيما

ودخل محمد بن علي الآمدي على ابن مظفَّر في ايام ولايتهِ بثغر الاسكندرية فوجدهُ يقطر دهناً على خنصرهِ فسألهُ عن سببهِ فذكر ضيق خاتمهِ عليهِ وانهُ ورم بسببهِ فقال لهُ الرأي ان تقطع حلقتهُ قبل ان يتفاقم الامر فيهِ فقال اختر من يصلح لذلك فاستدعى ابا منصور بن القاسم الحداد فقطع الحلقة وانشد بديهاً

قصَّر في اوصافك العالمُ   واكثر الناثر والناظمُ
من يكنِ البحر لهُ راحة   يضيق عن خنصرهِ الخاتمُ

ولما وفد ابو نواس على الخصيب قال لهُ يمازحهُ وهما بالمسجد الجامع في مصر انت غير مدافع في قول الشعر ولكنك لا تخطبُ فقام من فورهِ وصعد المنبر وانشد

محضتكمُ يا اهل مصر نصيحتي   أَلا فخذوا من ناصحٍ بنصيبِ
رماكم امير المؤمنين بحية   اكولٍ لحيات البلاد شروبِ
فان يكُ باقٍ سحر فرعون فيكمُ   فان عصا موسى بكفِ خصيبِ

واتفق ان خرج المهدي ومعهُ علي بن سليمان وابو دُلامة فرمى المهدي ظبياً عنَّ لهُ فانفذ مقاتلهُ ورمى عليٌّ فاصاب كلباً من كلاب الصيد فامر المهدي ابا دلامة ان يقول بديهاً في ذلك فارتجل

قد رمى المهديُّ ظبياً   شكَّ بالسهم فؤادهْ
وعليُّ بنُ سليمانَ   رمى كلباً فصادهْ
فهنيئاً لهما كل   فتى يأكل زادهْ

---

(١) يقال هفت الريح بالصوفة حركتها وذهبت بها . والرجوم النجوم التي يرمى بها

واستدعى المعزُّ بن باديس ابا عبدالله بن شرف القيرواني وابن رشيق الارزيّ وكانا شاعري حضرتهِ وملازمي ديوانهِ . فقال احب ان تنظما بين يديَّ قطعتين في صفة الموز على قافية الغين • فنظما ذلك حالاً غير واقف احدهما على ما نظمهُ الآخر فكان الذي نظمهُ القيرواني

يا حبذا الموز واسعارهُ من قبل ان يمضغهُ الماضغُ
لانَ الى ان لا مجسٌّ لهُ فالفم ملآنٌ بهِ فارغُ
فانهُ لي مأكلٌ طيبٌ وانهُ لي مشربٌ سائغٌ

وكان ما نظمهُ ابن رشيق

موزٌ سريع اكلهُ من قبل مضغ الماضغِ
مأكلهُ لآكلٍ ومشرب لسائغِ
فالفم من لينٍ بهِ ملآن مثل فارغِ
يخالــ وهو بالغٌ للحلق غير بالغِ

فانت ترى ان خواطر الاثنين تواردت على معانٍ واحدة حتى كادت الفاظهما تتشابه تشابه معانيهما في حين ان الواحد لم يقرأ ما نظمهُ الآخر وهذا يدلك على فطرتهما السليمة وسليقتهما الشعرية بحيث كان الشاعر منهما يعرف ما يقولهُ الآخر من غير ان يتكاشفا

وروى ابن الكلبي عن ابيهِ قال حدثني شيخ من بني زياد بن عبد المدان وكان عالمًا بقومهِ قال • نشأ غلام من بني جنب يقال لهُ رفاعة ويقال لهُ المخترِش . فنبغ في الشعر ومائن شعراء قومهِ حتى ابرَّ عليهم فلما وثق من نفسهِ بذلك قال لابيهِ لأخرجنَّ في قبائل اليمن فان وجدت احدًا يماتنني رجعت الى بلادي وان لم اصادف من يماتنني تقرَّيت قبائل العرب • فنزل بصرمٍ(١) من بني فهد فاتى حجرة عن جنب الجواء فاذا عجوز حيزبون قد اقبلت معتمة(٢) تتوكأ على محجن(٣) . فقالت عِم ظلامًا فقال قلت نَعم ظلامك فقالت ممن الرجل • قال قلت من مذحج . قالت من ايهم قلت من جنب قالت اضيف انت . فقلت نعم • قالت فلا حملك الله ما عدوت ان بخلتنا واسأت احدوثتنا . ثم اثارت ناقتي وكنَّتها في خبائها وامرت وليدة لها فجاءت بعتودٍ(٤) يمرحُ في اهابهِ سمنًا ومديةٍ وقالت اذبح ايها الرجل• واعتجنت وامتلَّت(٥) وطبخت وقربت طعامًا وجلست انا وهي والوليدة فلما تعشينا قالت ما رمى بك الى هذه البلاد فاخبرتها خبري فضحكت وقالت بِت فسأجيئك غدًا بعشر خرائد(٦)

---

(١) جماعة (٢) ملتفة (٣) عصا لها عقافة (٤) الحولي من الماعز (٥) عملت خبزًا في الملة (٦) يراد بها هنا الابكار من البنات

يماتنَّك دون الرجال فان غُلبت فارجع الى بلادك واعلم انك ترمي من مرامٍ

فبتُّ فلما اصبحنا اذا العجوز قد اقبلت ومعها ثلاث فتيات فابتدرنَ الى الحجرة واقبلت العجوز فحيتني وسألتني عن مبيتي ثم اومأت الى احداهنَّ فاقبلت كالعيدانة يميلها الصبا فقالت انت المتحدي للماتنة فقلت نعم فقالت قل أُسمع فقلت

سوامٌ تداعت سومها وعجافها (١)

فقالت حوامل اثقالٍ تنوءُ فتزرحُ

فقلت اذا ابهت في حجرتيها رعاؤُها

فقالت سمَتْ فِرَق منها شوامس لقَّحُ

فقلت نواءٌ تداعي بالحنين عشارها

فقالت فتبرح نارًا او تبيت فتسنحُ

فقلت اذا وصلت ارضًا سقتها بدَرّها

فقالت افاويق (٢) رسلٍ محضة لا تضيح

فقلت اذا انفسحتْ اخلافُها خلتُ ما جرى

فقالت على الارض منهُ لجة تتضحضح (٣)

فقلت امطلقة ام ذات بعلٍ ؟ فقالت

عقال (٤) لعمر الله لو شئتُ بتَّهُ شرادي ولكنَّ التكرم اجدرُ

فقمتُ الى راحلتي فقالت العجوز رويت ام اطلب لك اخرى فقلت اروتني الاولى . فقالت الحقِ الآن بارضك . فخرجت اريد الرجوع فابى عليَّ اللجاج الَّا قصد ما خرجت اليهِ فدفعت الى صرم من جرَم فاذا صبيان على غدير يرتجزون (٥) فدعوت غلامًا منهم من أبشرهم فقلت يا غلام هل في صرمكم من يماتنني فقد برَّزت على شعراء العرب . فقال . انا . فقلت انت ايها الفُصَيْعِل (٦) فقال قل ودع عنك ما لا يجدي فقلت

اوابدُ كالجزع الظفاريّ (٧) اربعُ

فقال حماهنَّ جون الطرَّتين مولَّعُ

فقلت يرود بهن الروض في الامن جارهُ

---

(١) السوام الابل الراعية والعجاف الهزيلة (٢) الافاويق ما اجتمع من الماء في السحاب . والرسل اللبن . وتضيح تمزج بالماء (٣) تترقرق (٤) كناية عن انها ذات بعل (٥) ينشدون الاراجيز (٦) مصغر فصعل وهو ولد العقرب (٧) نسبة الى ظفار وهي بلد باليمن

فقال واجلى بهنَّ المستضيُّ المودّعُ
فقلت فلما اشتكت امَّات قردانهِ السَّفا (١)
فقال وخبَّ على البيد السفير الممذّعُ (٢)
فقلت وشبَّت على الاكباد نار من الصدى
فقال تظلُّ لنا بين الحيازيم تسنعُ (٣)

فقلت اولى لك وامتطيت ناقتي

وقد بقي شيءٌ كثير في هذا المعنى وانما ذكرت ما يصح ان يؤخذ قياساً لسواهُ لاني لو شئت الاتيان على جميع ما ورد لهم من هذا القبيل لامتد بي نفس الرواية الى غاية بعيدة لا يصل القارئ اليها الاَّ بعد التبرم والملل . على ان فيما اوردتهُ دليلاً على ما كان لهم من شدة الولوع بالقريض وفنونهِ وما كانت عليهِ ملكاتهم الشعرية من الرسوخ بحيث لم يكونوا يحتاجون الى اجهاد ذهن واعمال روية بل كان الشعر يأتيهم صاغرًا ذليلاً سلس القياد ويوطئ لهم من وعرهِ ما يتعذر على اشعر شعراء هذا العصر ان ينالوا شيئًا منهُ

نعم انني لا انكر ان المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي ومن هم في طبقتهِ او على قيد شبر منهُ تحدوا الاقدمين في البديهة والارتجال والمحاضرة ولكن هذه الطبقة دون الاصابع عدًّا هذا فضلاً عن ان ما نسجوهُ على منوال المتقدمين لا يتعدى بعض ابيات . وقد رأيت ان المحاضرة في العهد الغابر لم تكن منحصرة في كبار الشعراء النابغين من العرب بل كان لغلمانهم وبناتهم وجواريهم حظ وافر منها وهذا يشير الى انهم كانوا يتوارثون قوة العارضة وملكة الشعر خلفاً عن سلف فلا يدرسون ولا يطالعون لان الشعر كان عندهم بمنزلة الحديث عندنا ليس الاَّ

وعليهِ فلا يستغرب شعراؤُنا وغيرهم اذا قيل ان النابغة ارتجل كذا ابياتًا وان الاخطل ابتده كذا ابياتًا وان الخنساء اجازت فورًا وان الغلام فلانًا اجاب على البديهة . وليحسبوا ذلك بمثابة قولنا ان زيدًا في هذه الايام يحدث عمرًا في كذا فكما لا يستغرب اخراج الحديث النثري لا يستغرب ارتجال الشعر عندهم ولا ينكر عليهم لانهُ كان حديثهم . نعم ان نظم شعراء الجاهلية لم يكن يخلو من بعض الفاظ وعرة ولكنها كانت مألوفة في عصرهم وان كنا نحسبها وحشية نافرة في عصرنا . فهذا لا يقدح في براعتهم وصفاء ذهنهم ورسوخ ملكتهم ولا يعد عذرًا للمتأخرين عن عدم مجاراتهم

رشيد عطيه

---

(١) ام القردان الموضع بين الثنة (الشعرات في مؤخر رسغ الدابة) والحافر . والسفا التراب والشجر الشائك (٢) الذي لا يكتم سرًّا (٣) الحيازيم وسط الصدر وتسنع تجعل اثرًا من النار

التنويم

وفوائدهُ في الطب

ظن بعض من اطلع على ما كتبتهُ عن التنويم في العدد الثالث من مقتطف السنة الحالية اني من رجال هذا الفن وقد زاولتهُ لشفاء الامراض واصلاح العادات الفاسدة وطلب اليَّ البعض ان اعود الى الموضوع بزيادة تفصيل ليطَّلعوا على آراء علماء هذه الايام فيهِ ويقفوا على ما عرف العلم من حقائقهِ وما كشف من اسرارهِ وما اثبت لهُ من الفوائد في الطب . على انهم اخطأُوا في معرفة منزلتي من هذا الفن لاني لست من رجالهِ ولا من مزاوليهِ وانما حاولت تجربتهُ بعض الاحيان كما يحاول ذلك كل طبيب لاكتساب معرفة جديدة او للحصول على فائدة عند الحاجة اليها ورأَيت ان اجيب طلب الاصدقاء بنقل ما يرومون الوقوف عليهِ عن ثقات في العلم تكفل معارفهم وسعة اختبارهم بتأْدية ما يرومون فان احسنت النقل اكون وفيت الخدمة والاَّ بقي لغيري مجال للتوسع

تمهيد وبيان

للخوارق تأثير كبير في الانسان والاعتقاد بما هو فوق الطبيعة مستولٍ دائمًا على ذهنهِ فاذا شهد امرًا فوق طور ادراكهِ ولم يهتدِ الى معرفة اصلهِ هام عقلهُ في اودية الخيال ونسبهُ الى الخوارق والكهانة والعرافة والسحر ولهذا حدَّدهُ العلامة دوكاترفاج بالحيوان المتديّن . والاستهواءُ ركن من اركان الاديان الوثنية وبهِ يتمكن الوثني من احتمال الآلام المبرحة ويقدم على الموت جذلان شغفًا بما يصورهُ لهُ الخيال من السعادة في ما وراء هذا العالم . ومن المعلوم انهُ كلما هبط الانسان في سلَّم المدنية غلبت عليهِ الاوهام وتسلَّطت عليهِ الوساوس وكان كالولد اكثر قبولاً للتصديق بالخرافات والتسليم بالخزعبلات واذا نظرنا الى اوهام الزنج في اواسط افريقية والى خرافات شيعة الفقراء في الهند لم نكد نصدق بانحطاط عقل الانسان الى ما ينزلهُ عن مقامهِ في الطبيعة . ولا ريب ان الغاية من الاعمال المدهشة التي يأْتيها الكهنة هي خلب العقول لتقرير سلطة بعض النفوس على بعض ولهذا يستحب الهندي الموت تحت عجل مركبة الاله الذي يعبدهُ ويستعذب عبدة برهما الأَلم عند القيام بشعائرهم الدينية وللفقراء تفنن في طرق التقشُّف وصبرٌ على احتمال العذاب لا يحيط بهِ وصف ويبعد عن حد التصور والتصديق فقد يتخذ الواحد منهم وضعًا مخصوصًا يقضي حياتهُ فيهِ بدون تغيير فيقعد

مثلاً القرفصاء او يصالب يديهِ ورجليهِ او يصلب يديهِ الى الامام ورجليهِ الى الوراء وبالعكس او يرفع احدى يديهِ ويمد الاخرى او ينتصب على رجلٍ ويرفع الاخرى او يتعلق على خشبة بذراعيهِ او برجليهِ او يجلس على وتدٍ او يدفن رأسهُ في حفرةٍ الى ما شا كل ذلك من ضروب العذاب التي لا يستطيع احتمالها طويلاً الاَّ من فقد شعورهُ وهي ايضاً تؤثر في بقية ابناء الشيعة المعجبين بصبر القائم بها وتقواهُ وتستهويهم الى الاقتداء بهِ

ولا يستطيع القيام باعمال بعض النسَّاك الاَّ من اذا استهواهُ الورع سلبهُ الشعور والارادة لانَّ الورع في الدين من اي نوع كان والقنوت والزهد والانقطاع الى العبادة تستهوي اصحابها وتسير بهم في فيافي الوهم والخيال فيستنزلون ثم الوحي ويرون الرؤى الغريبة ويخاطبون ارواح الاولياء والانبياء

تاريخ التنويم

كان كهنة هياكل اسكولاب اله الطب عند اليونان يستعملون الاستهواء لشفاء الامراض واليهم ينتهي بدء استعمالهِ في تاريخ الطب . واما في اوربا فقد اخذ الاستهواء شكلاً جديدًا سموهُ بالسبيرتسم وما هو الاَّ طريقة الفقير في الهند اي ان اصحابهُ يستهوون البعض كما يستهوي الفقير ابناء شيعتهِ وصار للسبيرتسم انصار يعضدونهُ ويقطعون بصحتهِ واول من حاول اثبات حقيقتهِ بالطريقة العلمية هو السر وليم كروكس احد علماء الانكليز العظام . فاذا قابلنا بين عمل المشعوذ في البلدان المتمدنة وعمل الساحر في قلب قارة افريقية لم نكد نرى فرقاً بينهما لان عمل الاثنين واحد ومتفق وقطعنا بان الساحر والقابض على عنان الشيطان ومدعي فعل العجائب الذين كان لهم شأن عظيم في العصور المظلمة ليسوا الاَّ اصحاب استهواء على ان طريقتهم قد اتخذت في هذه الايام خطة علميَّة

قلت خطة لان الاستهواء واحد ولان المستهوي يتسلَّط دائماً على المستهوَى اما باللمس او بالكلام او بالنظر وما كان يعملهُ ڤان هلمونت وباراسلس وفلاد وغيرهم في عصرهم هو نفس ما يعملهُ اليوم شاركو ولويس وبارنيهم الخ . وكان المشعوذ هلوتيوس يشفي المريض بنقل المرض من جسمهِ الى جسم حيوان او الى شجرةٍ وهذا ما يجري اليوم في مستشفى الشفقة بباريس وهذا هو المراد من القول بانهم اتخذوا خطة جديدة حيث خرجوا من موقف المدهشات الطبيعية والشيطانية وشرعوا برد هذه الظواهر الى العلم وبتعليلها بهِ . واول من جرى على ذلك باراسلس في القرن السادس عشر فذهب الى وجود قوة مغنطيسية خصوصية في الانسان يعلل بها ما نشاهدهُ من الظواهر الغريبة المنسوبة الى الخوارق وسمي مذهبهُ

بالمغنتسم وبقي المعول عليهِ الى ان قام جمس بريد من منشستر سنة ١٨٤٢ واثبت امكان توليد هذه الظواهر بالتحديق في اشياء لامعة واطلق عليها اسم الهبنوتسم واستعملهُ جرَّاحو تلك الايام للتخدير في الاعمال الجراحية اذ لم يكن الكلوروفورم معروفًا ومع ذلك لم تتوجه افكار العلماء الى تقرير بريد وبقي منسيًّا مدة طويلة حتى كتب لازيغ تقريرهُ فيهِ سنة ١٨٦٥ ولم يدخل في نطاق العلم الصحيح الَّا في عهد شاركو حين بدأَ بامتحانهِ علميًّا في مستشفى السالباتريز واظهر النسبة بين ظواهرهِ وظواهر الهستريا ومن ثم ظهرت اعمال كثيرة اهمها اعمال شاركو وتلامذتهِ في السالباتريز واعمال بارنيهم وليوبولت وبونيس الخ في نانسي

ظواهر التنويم

يقول شاركو في المذكرة التي قدمها الى الجمعية العلمية سنة ١٨٨٢ ان التنويم يحدث في الهستيريات ثلاثة اشكال عصبية وهي الكاتالبسيا (التيبس) واللثارجيا (الارتخاء) والغيبوبة ويخالفهُ في ذلك بارنهيم فيذهب الى ان هذه ليست اشكالاً بل احوال تتكيف بتأثير ارادة المنوِّم على المنوَّم اي اذا اثبت المنوِّم في ذهن النائم ان اعضاءهُ توترت ولم يعد في استطاعتهِ ان يحرّكها حدثت الكاتالبسيا واذا اقنعهُ بانها ارتخت ولانت حدثت اللثارجيا فهذه الاشكال اذًا هي ظواهر استهوائية بسيطة وليست اشكالاً خصوصية وفيها كلها تقوم ارادة المنوم مقام ارادة النائم ففي الدرجة الاولى من النوم يحصل نعاس وخمول ويكون تأثير الاستهواء خفيفًا ولكنهُ قوي الى حد ان لا يستطيع النائم ان يفتح جفنيهِ بدون ارادة المنوم وفي هذه الدرجة والدرجة الثانية لا تتعدى سلطة المنوم شخصية النائم اي انهُ يطيع فيما يتعلق بشخصهِ فقط واما في الثالثة فيحصل النوم الحقيقي ولا يبقى للمريض علاقة الَّا مع منومهِ الذي يسلبهُ ارادتهُ ويجعلهُ ان يفعل كل ما يطلب ويريد

ومهما كان من فلسفة التعليل فقد اتفق الفريقان على ظهور الاشكال الثلاثة المذكورة وسنأتي على شرحها بما يمكن من الايجاز

١ الكاتالبسيا — وهي حالة اليبوسة والامتناع التام عن الحركة وفيها يجمد نظر النائم وتجمد عيناهُ وتبطل ملامح وجههِ وفيها يستطاع ان يرسم لاي عضو من اعضاء جسمهِ وضعًا معينًا فيبقى عليهِ مدة طويلة وقد شاهد كثيرون هذه الحالة في محلات التشخيص ورأوا من الاوضاع الغريبة ما يقضي بالدهشة والحيرة فيمكن ان يوضع قفا رأس النائم علي الحافة العليا لكرسي وقدماهُ على حافة كرسي ثانٍ ويبقى الجسم ممدودًا بينهما على هذا الوضع كما لو كان قطعة من خشب بحيث يقف عليهِ شخص ثقيل بدون ان يتأثر النائم اقل تأثر وهكذا اذا

وضعنا رجلهُ الواحدة وضعاً افقيًّا وتركناهُ واقفاً على رجل واحدة بقي محافظاً على هذا الوضع مدة طويلة وقس عليهِ

٢ اللثارجيا — هي عكس الكاتالبسيا وفيها ترتخي الاعضاء ارتخاء تامًّا وتفقد حسها بالكلية وتنطبق الاجفان وتحول العينان من الاعلى الى الاسفل ويصير النخاع الشوكي قابلاً للتأثر بحيث ان وخزة ضعيفة تسبب انقباضات عصبية شديدة وقد تكفي نفخة خفيفة لحصول ارتجاج عضلي في قسم كبير من الجسم

٣ الغيبوبة — وهي النوم الحقيقي العميق او هي الاستهواء الحقيقي وفيها لايبقى للمريض علاقة الَّا مع منومهِ فيصير طوع ارادتهِ ويذعن الى كل ما يأمرهُ بهِ ويغوى بكل ما يقولهُ لهُ من كذب وصدق فاذا اعطاهُ بيضةً وقال لهُ هذه زهرة وردٍ اخذ يشمها ويظهر اللذة برائحتها كوردة واذا اعطاهُ قدح ماء وقال لهُ هذا كونياك شربهُ وظهرت عليهِ اعراض السكر واخذ يترنح كالسكران واذا اعطاهُ فجلة وقال لهُ هذه تفاحة اكلها بلذة كما لو كانت تفاحة

وفي هذه الحالة يمكن تحويل الشخصية اي اقناع النائم بانهُ شخص آخر فيقتنع فاذا قيل لهُ انهُ جنرال اخذ يتكلم مع الحضور بصوت جهوري ويصدر الاوامر واذا قيل لهُ انهُ شيخ او قسيس شرع يتكلم بطلاقة ويعظ ويرشد الخ. وهنا محل للسؤال عما اذا كان اصحاب الشخصية المزدوجة قد حصلت لهم هذه الحالة المرضية من استهواءٍ ذاتي على نحو ما اشرنا اليهِ في صدر المقالة وقد عرض لهم في اثنائهِ استهواء ثانٍ لان الاستهواء الواحد يستدعي الآخر في احوال خصوصية واذا استهوي احد ومرَّت على ذهنهِ تصورات جديدة لها علاقة بتصورات او تخيلات الاستهواء الاول حصل لهُ استهواء ثانٍ وبهذا يمكننا ان نفسر دعوى الذين يدَّعون شخصية احد الانبياء

ومن غرائب الاستهواء ابطالهُ فعل الحواس الطبيعية فيوقف وظيفة الحاسة كلها او بعضها فاذا قيل للمستهوى انهُ اعمى فلا يعود يرى او انهُ يرى بعض الاشياء ولا يرى البعض الآخر فيكون كذلك . ومنها فعلهُ بالقوى العقلية فاذا قيل للمنوَّم انهُ لايتذكر شيئاً من الماضي او يتذكر بعض الشيء فيكون كذلك. ومنها فعلهُ بالحركة فيوقفها ويرجعها بحسب ارادة المنوم وقد جرَّب لموان ان احدث شللاً في الذراع اليمنى واعقبهُ باحداث افازيا اي فقد النطق وذلك لان المركز الدماغي المرتبطة بهِ وظيفة النطق والمعروف بمركز بروكا قريب من المركز المحرك لليدين . وهذا الشلل يشبه الشلل الهيستيري لانهُ بلا ريب نتيجة تأثير العقل في المادة وقد يرافقهُ فقد اللمس من الجلد والعضلات وزيادة الفعل المنعكس في الاوتار

واهتزاز الحبل الشوكي واضطرابات مختلفة في الاعصاب المحركة للاوعية

ومن غرائبهِ ان تأثيرهُ لاينحصر في الجهاز العصبي الموصل للتأثيرات بل يفعل ايضاً بالجهاز العصبي المتسلط على الافعال الغير خاضعة للادارة اي على العصب السمباثوي بحيث يمكن احداث الاسهال وافراز العرق وتكثير اللعاب الخ

اما مدة الاستهواء فقد تطول الاَّ ان الغالب فيهِ ان يضعف شيئاً فشيئاً · وقد جرَّب لموان ذلك فامر النائم ان يعمل عملاً مفروضاً بعد خمسة عشر يوماً فقام بما امر بهِ بدون خلل ولا نقصان واما كيفية العمل فهي بعد ما ايقظهُ مرت الخمسة عشر يوماً بحالة طبيعية ولما حانت الساعة المعينة للعمل تغيرت اطوارهُ فلم يعد يهتم بما حولهُ ثم اندفع فجأَة واتمَّ عملهُ الذي أُمر بهِ منذ خمسة عشر يوماً وبعد اتمامهِ عاد الى عقلهِ وبقي حائرًا مما عمل ولم يستطع التوصل الى معرفة السبب الذي دفعهُ اليهِ

فالمنوَّم اذًا آلة في يد المنوم وقد يكون آلة مخفية تستخدم لارتكاب الجرائم لانها تفعل ما تفعلهُ بادراكٍ ورويَّة على ان من حسن الحظ لم تكشف بعد جرائم من هذا النوع ولعل كتَّاب القصص تخيلوها ولم تتعدَّ دائرة مخيلتهم حتى الآن

اتضح مما تقدم انهُ لما تصدى جلة من العلماء للبحث عن هذا الفن انتفت عنهُ نسبة معرفة الغيب وكشف المخبآت وأدى البحث عن طريق العلم الى افتضاح الطرق التي جرى عليها المشعوذون منذ الازمنة القديمة الى الآن وانكشفت حجب الاوهام عن وجه الحقيقة

طرق التنويم

طرق التنويم كثيرة ومتنوعة ونشرح اهمها بالايجاز

الطريقة الهنديَّة — تقوم بتطبيق الجفنين ومسهما ثم مس الجبهة والصدغين واليدين وهذه هي طريقة القائلين بالمغنتسم

طريقة بريد — تقوم بالتحديق في جسم لامع او في نقطة معينة او في اصبع المنوم فقط

طريقة الاب فاريا — هي ان يرفع المنوّم يدهُ ويأمر المنوّم ان يحدق في قفاها مدة ثم يتقدم المنوّم بضع خطوات وينزل ذراعهُ فجأَة ويأمر الشخص ان ينام . والاب فاريا هذا هو اول من دحض الزعم بوجود سيال مغنطيسي واثبت احداث النوم بالاستهواء

طريقة ليوبولت — شبيهة بطريقة الاب فاريا فيأمر من يراد تنويمهُ ان يوجه نظرهُ اليهِ وان يحدّق في عينيهِ ويؤكد عليهِ بان لا يفتكر الاَّ بان ينام ويشفى ثم يذكر لهُ ظواهر النوم الاولية اي خدر الجسم والنعاس وثقل الجفون وفقد الحس وحالما يرى ان الجفون ثقلت

واخذت تختلج والحدقة اتسعت وصارت ترتج واصبح النظر نظر المتعجب لفظ الكلمة النهائية الفاصلة اي (نَمْ) ويقول ليوبولت انهُ اذا لم يحصل النوم بعد دقيقة فيؤَجل العمل الى جلسة ثانية

طريقة لويس — تقوم بوضع مرآة امام عين من يطلب تنويمهُ ترتكز على محور وتدور عليهِ بسرعة

طريقة بارنهيم — وهي سهلة وبسيطة فهو يجلس الشخص او يمددهُ على كرسي ويهيئهُ مدة قصيرة لقبول العمل فيقول لهُ انهُ سينوّمهُ بسهولة كليَّة نوماً لطيفاً وهادئاً ثم يقرب يدهُ بلطف من عينيهِ ويقول لهُ (نم) . قال بارنهيم ان البعض يطبقون جفونهم وينامون والبعض ينامون بدون ان يطبقوا جفونهم الاَّ ان نظرهم يجمد وتظهر عليهم كل ظواهر النوم المغنطيسي والبعض الآخر تختلج جفونهم وتنفتح عيونهم وتنطبق على التعاقب فهؤُلاء لا يترك عيونهم مفتوحة مدة طويلة بل يطبقها مدة قصيرة واذا رأى بعض المقاومة قال للنائم بلطف طاوعني لان جفونك ثقلت واعضاءك تخدرت والنوم حصل (نم) ويندر ان لا يحصل النوم بعد دقيقة او دقيقتين . ويقول ان الحركة تنقطع في البعض حالاً ويحاول بعضهم الانتباه ويفتحون عيونهم ويفيقون من لحظة الى اخرى فهؤُلاء يلح عليهم ويبقي الجفنين مطبوقين ويقول للشخص ابقَ نائماً

طريقة السالباترير — يستعمل في مستشفى السالباترير كل ما ينبهُ الحواس كالسمع او النظر لان صوت القصب كالناي مثلاً يحدث حالة من الاستهواء اشبه بما يحدثهُ النور الساطع فكل تأْثير حي شديد يمكن استعمالهُ لهذه الغاية ولذلك لا يقتصرون في السالباترير على طريقة واحدة

اما التنبيه والايقاظ فيحصل بطرق مختلفة ابسطها ان يأْمر النائم بصوتٍ عالٍ ان يفيق او ان ينفخ نفخاً خفيفاً في وجههِ

فائدة التنويم في العلاج

اهم فوائد الاستهواء في الهيستيريا وقد يفيد في الامراض العصبية وفي العلل العضوية التي ترافقها آفة عصبية

اما الهيستيريا فقد عرفنا من ابحاث شاركو ومتخرجي السالباترير انها لا تختص بالنساء فقط بل تصيب الرجال ايضاً ولا يستثنى الاغنياء منهم وهي كثيرة الاشكال وغريبة الاطوار وتتقلد كثيراً من الامراض وقد تظهر بظواهر العلل العضوية وتتخذ شكلها وسيرها فتتصرف

ذهن الطبيب عنها وتخدعهُ بالتشخيص . فهي عبارة عن حقل واسع تنمو فيهِ الامراض الكاذبة فقد يشكو مريض اعراض قرحة معدية قتالة و يشكو آخر من اعراض علة رئوية كالربو والسل والحقيقة في هذا وذاك ان الهيستيريا اتخذت المعدة مقرًّا في الاول والرئة في الثاني وليس ثمة قرحة ولا سل . فهذه الاشكال والاطوار تشفى كلها بواسطة التنويم سواء كانت في النساء او في الرجال ٠ ومن امثلة ذلك ان شابًّا هيستيريًّا شكا من آلام معدية معويَّة تشبهُ الم الاختناق المعوي واوشكوا ان يعملوا لهُ عملية جراحيَّة الاَّ ان الخوف من العملية ابطل الالم وازال الاعراض المرضية . ثم اصابهُ نزف رئوي استعصى على كل علاج فدخل المستشفى وشفي حالاً بتهديدهِ بالكي بالنار وذلك لان التخويف يفعل فعل الاستهواء في هذه العلل

وعلى هذا النمط يشفى الفالج والاعتقالات والانقباضات وكل نوع من انواع الظواهر المرضية العصبية التي ترجع بمصدرها الى الهيستيريا

وقد قلنا فيما سبق ان التنويم يزيل الحس ويفقد الشعور بما في الخارج فالهيستيريات القابلات للاستهواء يحصل ذلك لهنَّ الى حد ان يستطاع عمل عمليات جراحية طويلة ومؤلمة فيهنَّ بدون شعور بالالم وللجراح مسنه المشهور بعلمهِ ودقتهِ عدة عمليات من هذا النوع وهو واوڤار وغيرهما من المولدين المشهورين عملوا عمليات ولادة كثيرة بدون ان تشعر الماخض بالم . وقد جربتُ ذلك مرةً وكان النجاح باهرًا واستميح من القراء شرح الحادثة وان تكن ليست من الاهمية في شيء بالنسبة الى ما يعمل في المستشفيات ويجري تحت ادارة كبار المولدين ولكن ذكرها بالتفصيل فيهِ فكاهة من جهة وتأييد للحقيقة من جهة اخرى

كانت الماخض نحيفة البنية وفقيرة الدم وهيستيرية المزاج ولما دعيت اليها كانت قواها قد انتهكت وهي تكثر من الهذيان ولما طلبت توليدها بالآلة أُغمي عليها ورفض ذووها تخديرها بالبنج فلما انتبهت من الاغماء قلت لها اني عدلت عن توليدها واقنعتها بانهُ يجب ان تنام ساعة من الزمن حتى تستعيد قوتها ثم ضغطت على جفنيها بلطف وامرتها ان تنام فنامت فعملت العملية واتممت كل ما يجب عملهُ ووضعتها في سريرها ثم ايقظتها واذا هي ترى طفلها الى جانبها فانذهلت و بدأت تشكر لي حسن صنيعي لانها ظنت ان النوم وحدهُ كان كافيًا لولادتها

على ان بطلان الحس بالاستهواء لا يمكن الحصول عليهِ دائمًا بل لهُ حد يقف عندهُ عن الفائدة المطلوبة منهُ وذلك بالنسبة الى انحراف المحل الذي يتولد فيهِ الالم مثال ذلك ان امرأة دخلت المستشفى في عيادة دوجاردين بومتس لانقباض في احدى رجليها فنوَّمها ثم

ايقظها واذا بها انقباض في الرجلين معاً زال من نفسهِ بعد مدة وينسب هو نفسهُ ذلك الى سوء عمل في التنويم ثم عادت اليهِ تشكو من الشياتيكا اي الم عرق النسا وكانت الجهة الخلفية من الفخذ عديمة الحس ولا تتأثر بالوخز العميق ورغماً عن ذلك كان الالم على مسير العصب شديداً جداً والتنويم لم يؤثر فيهِ شيئاً . ومثل ذلك النفرالجيا اي الالم العصبي المسبب عن ضرس نخرة والالم الناتج عن سرطان الرحم . وقد ذكر بعضهم واشهرهم بارنهيم شفاء قرحة المعدة بالتنويم والصحيح وهو المعول عليهِ عند الاكثرين ان المرض لم يكن قرحة بل هيستيريا تقلدتها كما سبق بيانهُ لان القرحة الصحيحة التي تهتك نسيج المعدة وتفسد اطراف الاعصاب يستحيل شفاؤُها بالتنويم

وخلاصة ما تقدم ان فائدة التنويم تنحصر في الهيستيريين والهيستيريات القابلين لهُ لان كثيرين منهم لا ينجح الطبيب في تنويمهم . ومهما كانت اشكال الهيستيريا كثيرة وفائدة التنويم فيها كثيرة فالشواذ فيها ايضاً ليست بقليلة

اما الامراض العصبية كالنيوارشينيا والهيبوخندريا المعبر عنها بالسوداء فلا يفيد اصحابها التنويم او يفيدهم فائدة قليلة لانهم كثيرو التقلب وقليلو الثبات فيعرضون انفسهم تارة على طبيب وتارة على آخر واحياناً على دجال واخرى على عراف وما اشبه على ان استهواءهم ببشاشة وجه الطبيب وتنشيطهِ وبكل ما يتفنن بهِ للاستهواء كتغيير الوان الغرفة واشكال الملبوس وما اشبه قد لا تخلو من الفائدة وان تكن على الغالب وقتية

واما النوع الاخير وهو العلل العضوية التي يرافقها فعل عصبي فمن الواضح ان الاستهواء لا يفيد اقل فائدة في العلة العضوية ولكن لما ذُكر من بشاشة الطبيب وحسن تدبيرهِ تأثير حسن على تخفيف وطأة العلة وتسكين الاعراض العصبية ولهذا يزعم عامة الناس والمرضى ان الثقة بالطبيب تساعد على الشفاء وهذا لا يخلو من الصحة

التنويم في الطب الشرعي

يقال بان المنوَّم اذا دُفع الى عمل وأُخذ استنطاقهُ أصرَّ على الانكار لانهُ لا يكون شاعراً بانهُ عملهُ . وهنا ينفسح المجال للزعم بامكان ارتكاب الجرائم بواسطة التنويم ولكن ظهر بالامتحان فساد هذا الزعم فقد ذُكر آنفاً انهُ لم تظهر جرائم من هذا النوع ونزيد هنا ان النائم اذا أُمر بارتكاب جريمة اظهر معارضة ومقاومة شديدتين والراجح ان جل ما يمكن الحصول عليهِ من هذا القبيل هو استخدام النائم في بعض المراسلات السرية التي يرفض تبليغها وهو في حال اليقظة

ضرر التنويم

يقول بعضهم بضررهِ ويزعم انهُ وان شفى في الظاهر الامراض العصبية فهو ينهك العصب ويحدث في من هم تحت العلاج اضطرابات عقلية شديدة جدًّا . اما بارنيهم وليوبولت وغيرهما فيخالفون ذلك وينفون كل ضرر عنهُ . الَّا ان الحكومات منعت استعمالهُ بعد ما استشارت الاكاديميات العلمية كما جرى في بلجيكا وهذا يدل على عدم خلوهِ من الضرر وبارنيهم نفسهُ وهو من اكبر علماء هذا الفن ولهُ فيهِ تصانيف كثيرة وقد استعملهُ بدقة ومهارة وطهارة ذمة يقول انهُ فن دقيق يوجب على ممارسهِ ان يكون واسع المعرفة في علمي الطب والسيكولوجيا وشديد الحذر وكثير الخبرة ولا يجوز ان يستعملهُ غير الاطباء المتنورين وهذا اعتراف واضح بانهُ قد لا يخلو من الضرر كما لا يخفى

الدكتور
امين ابو خاطر

* * *

مغاوص سيلان

"الدرُّ من الصدَف" قول مأثور يحسبهُ العقل صورة خيالية وهو حقيقة فعليَّة . ولقد تفنَّن الناس في كل اعمالهم واوصلوها حدًّا من الاتقان والارتقاء يظهر قديمها لديهِ ظهور النواة امام النخلة الكبيرة بسعوفها وعزوقها وثمرها بل ظهور زورق الخشب الذي يصنعهُ ولدك بسكينهِ ويلقيهِ في بركة الماء امام البوارج الضخام التي اصطدمت في حرب الروس واليابان . اما استخراج اللؤلؤ فلم يتفننوا فيهِ ولا حادوا عن الطريقة التي كانوا يجرون عليها قبل زمن ارسطوطاليس . يذهب غوَّاصوهم في الزوارق في فصل معلوم من السنة ويغوصون في البحر ويستخرجون الصدف منهُ ويلقونهُ على الشاطئ الى ان ينتن فيفرثونهُ بايديهم ويستخرجون اللؤلؤ منهُ

قال ابن بطوطة في رحلتهِ حوالي سنة ٧٣٢ للهجرة ما نصهُ

"ومغاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين في خور راكد مثل الوادي العظيم فاذا كان شهر ابريل وشهر مايه تأتي اليهِ القوارب الكثيرة فيها الغوَّاصون وتجار فارس والبحرين والقطيف ويجعل الغواص على وجههِ مهما اراد ان يغوص شيئًا يكسوهُ من عظم الغيلم وهي السلحفاة ويصنع من هذا العظم ايضاً شكلاً شبه المقراض يشدّهُ على أنفهِ ثم يربط حبلاً في وسطهِ

ويغوص ويتفاوتون في الصبر في الماء فمنهم من يصبر الساعة والساعتين (١) فما دون ذلك فاذا وصل الى قعر البحر يجد الصدف هنالك فيما بين الاحجار الصغار مثبتاً في الرمل فيقتلعهُ بيدهِ او يقطعهُ بحديدة عندهُ معدَّة لذلك ويجعلها في مخلاة جلد منوطة بعنقهِ فاذا ضاق نفسهُ حرَّك الحبل فيحس بهِ الرجل الممسك للحبل على الساحل فيرفعهُ الى القارب فتؤخذ منهُ المخلاة ويفتح الصدف فيوجد في اجوافها قطع لحم تقطع بحديدة فاذا باشرت الهواء جمدت (٢) فصارت جواهر فيجمع جميعها من صغير وكبير فيأخذ السلطان خمسهُ والباقي يشتريهِ التجار الحاضرون بتلك القوارب واكثرهم يكون لهُ الدين على الغواصين فيأخذ الجوهر في دينهِ او ماوجب لهُ”

وقال احد الكتاب الانكليز في مقالة وصف بها مغاوص سيلان نشرها حديثاً في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزيَّة ما خلاصتهُ

ان زمن الغوص على اللؤلؤ اسابيع قليلة من السنة والربح منهُ كالربح من المقامرة ونتاجهُ عارٍ من كل فائدة ذاتية ولكن تغالي الغواني بهِ جعلهُ في المقام الاول بين الجواهر الثمينة

وما يعرف من امر هذا الصدف لا يزال قليلاً جدًّا وكذلك تولُّد اللؤلؤ فيهِ لم يعرف معرفة تامَّة حتى الآن مع اهتمام العلماء بهِ ومغاوصهُ في سيلان قديمة جدًّا وهي الى الشمال الشرقي من تلك الجزيرة وساحل البحر هناك واطئ منبسط تغطيهِ رمال حمراء بنيَّة وكثبان كثيرة تنبت الاشواك والادغال وتتلاطم عليها الامواج فلا تجسر السفن على الدنو منها الاَّ في الفترة بين الانواء السنويَّة . وهذه الادغال منتشرة على الساحل مئات من الاميال وهي عرائن الافيال والفهود ومسارح الظبي والجآذر تجد فيها قرًى صغيرة حقيرة يعيش اهلها بصيد السمك واقتناص الوحوش وكان فيها في الزمن القديم مدن كبيرة عامرة لم يبقَ منها الآن الاَّ اطلالها

الاَّ ان ذلك القفر يصبح كل سنة آهلاً بالوف من الغواصين والتجار ويظل كذلك بضعة اسابيع ثم يمسي قفرًا بلقعاً . تأتيهِ السفن وفيها العمال فيدقون الاوتاد ويقيمون الاكواخ ويغطونها باغصان الاشجار وينشئون مدينة بشوارعها وساحاتها ومجالسها ومخازنها . مدينة تسع اربعين الفاً من النفوس ولا تمضي ايام كثيرة حتى يؤجر كل كوخ من اكواخها وكل مخزن من مخازنها باجور فاحشة لا ترى في العواصم الكبيرة ويحتشد هناك الوف من الغواصين والتجار من كل بلدان المشرق ويتغطى البحر بالسفن الشراعية الصغيرة وتنتشر النساء في الطرق

---

(١) [المقتطف] الساعة والساعتين خطأ ولا بد من ان يكون الاصل الدقيقة والدقيقتين (٢) وهذا خطأ ايضاً ولعلهُ من النساخ

يستقين الماء ويهيئن الطعام ويأخذ الناس يتعاطون بالالوف فيغتني بعضهم في ساعة ويفتقر البعض الآخر ولا تمضي بضعة اسابيع حتى تقفر تلك المدينة ويغادرها سكانها وتضمحل كأنها نشأت بالسحر وزالت بالسحر فيعود الفيل والفهد الى مطارحها وتنصبُّ اشعة الشمس على ذلك الساحل كما انصبَّت عليهِ في العصور الغابرة

حينما يحين وقت الغوص يذهب اناس ويعينون الاماكن التي يجوز الغوص فيها لكي يكون استخراج اللؤلؤ منتظماً فلا يستخرج كلهُ في سنة واحدة ولا من حيث لم يزل صغيراً ويضعون اعلاماً في البحر يحددون بها الحدود التي يجوز الغوص داخلها حتى اذا جاء اليوم المعين أُعلن ذلك وهو في الفترة بين النوئين حين يكون البحر رهواً فتخرج السفن نصف الليل وفي كل سفينة منها نحو ستين رجلاً وتنشر شرعها وتمخر الى حيث يوجد الصدف مسافة اثني عشر ميلاً ويربط الغواصون بهم اثقالاً ينحدرون بها الى قاع البحر بسرعة ومع كلٍّ منهم مخلاة يضع فيها ما يجمعهُ من الاصداف حتى اذا ضاق نفَسهُ ولم يعد يستطيع القيام تحت الماء شدَّ بحبل فيعرف الذين في السفن وينشلونهُ فيصعد الى وجه الماء ويستنشق الهواء ثم يغوص ثانية وثالثةً ست ساعات متواليات ولا يستخدم شيئاً من الآلات سوى قطعة من عظم السلاحف يغطي بها انفهُ

وامهر الغواصين واقدرهم على البقاء تحت الماء لا يستطيع ان يبقى اكثر من دقيقة ونصف دقيقة والغالب ان الغوَّاص يبقى من نصف دقيقة الى دقيقة

وينتهي الغوص حينما ينتصف النهار وتعود السفن بالغوَّاصين وما جمعوهُ من الصدف وهي تتبارى في الوصول الى الشاطئ واخراج ما اصطادتهُ

ويقسم الصدف ثلاثة اثلاث متساوية فيعطى ثلث منها للغواصين اجرتهم فيبيعونهُ ويشتريهِ التجار حالاً ويفتحون اصدافهُ ليروا ما فيها من اللؤلؤ ويستدلُّوا منهُ على حالة الثلثين الباقيين وهل اللؤلؤ كثير فيهما او قليل وهل هو كبير او صغير

والغالب ان ما يصاد في يوم واحد يبلغ مليون صدفة وقد بلغ مرةً خمسة ملايين فاذا استدلَّ التجار من الثلث الذي اشتروهُ من الغواصين على حالة الثلثين الباقيين وقف الدلاَّل وجعل يعرض الصدف عليهم كوماً كوماً فيقول ان هذه الكومة من الجهة الفلانية وقد فتحنا كذا اصدافاً منها "عينة" فوجدنا فيها كذا وكذا من اللؤلؤ ويقف التجار حولهُ وهم من كل امم المشرق شيوخ وكهول وشبان بملابسهم المختلفة والبيع بالالف فيقول الدلال كم

تدفعون ثمن الالف من هذه الاصداف فيأْخذ التجار يتزايدون الى ان يرسو المزاد على واحد منهم فيدفع الثمن نقدًا ويأْخذ اصدافهُ وقد يجد فيها فرائد تساوي كل واحدة منها الثمن الذي دفعهُ وقد لا يجد فيها كلها ما يساوي بعض الثمن فالعمل مقامرة ولكن التجار الفوها من قديم الزمان ويزيد اقبالهم عليها يومًا فيومًا حتى يتولاَّهم هوَس يأْخذ منهم كل مأْخذ ولاسيما اذا فتح بعضهم صدفةً فوجد فيها درَّة تساوي مئتي جنيه او اكثر والانسان مولع بحب الكسب الذي يأتيهِ على هذه الصورة

والغالب ان يوجد اللؤلؤُ في كل صدفة من عشر صدفات · وعشر هذا اللؤلوء جيد مستدير برَّاق · وترى الاصداف اكوامًا اكوامًا والناس يفتحونها بسكين ويبحثون في لحمها باصابعهم لعلهم يجدون فيها شيئًا ووجوههم وملامحها تتحرك مع اصابعهم وتنطق بما تشعر الاصابع بهِ فاذا وجد واحد درة كبيرة خبَّأَها حالاً لئلاَّ يعلم غيرهُ بها فيرتفع سعر الصدف ويعسر عليهِ المشترى · ويبذل جهدهُ في التفتيش عن لؤلوءة مثلها حتى يجدها او يشتريها لان ثمن الاثنتين المتماثلتين اكثر من مضاعف ثمن الواحدة منهما · ولذلك لا يستطيع احد ان يعلم ثمن اللؤلوء الذي يوجد كل سنة لان التجار يخبئون الدرر الغوالي منهُ

وبعد هذا التفتيش الابتدائي عن الجواهر الكبيرة يترك الصدف اكوامًا على الشاطىء تنصبُّ عليهِ حرارة الشمس وتحوم عليهِ سُحُب الذباب تبيض في لحمهِ فيفسد وينتن وتنتشر منهُ رائحة خبيثة تزهق النفوس ويمرض الانسان من شمها اذا لم يكن قد اعتادها وتذهب هذه الرائحة في الهواء فتشمها في البحر على خمسة اميال من البر وتنتشر في البر اميالاً كثيرة · وتتغطى تلك السواحل بالذباب فيزيد الطين بلة وتصير الاقامة فيها ضربًا من المحال الاَّ على عابدي المال الذين يضحون في سبيلهِ النفس والنفيس

وحينما يتم فساد اللحم الذي في الصدف يوضع في آنية كبيرة ويصب عليهِ الماء فتخرج الديدان منهُ وتطفو على وجه الماء تحاول النجاة من الغرق فيصبُّ الماء والديدان التي فيهِ عن الصدف ويصبُّ عليهِ ماء آخر ثم يخرج الصدف من تحت الماء اثنتين اثنتين وتضرب الواحدة بالاخرى حتى اذا كان فيها لؤلوءة عالقة وقعت منها ويطرح الصدف جانبًا حتى لا يبقى في الاناء الاَّ اللحم المنتن وما فيهِ من اللؤلوء فيأْخذ العمال يدعكونهُ ويعجنونهُ بايديهم ولا يباح لاحد منهم ان يخرج يدهُ من تحت الماء الاَّ باذن صاحب الصدف وكلما عثر بلؤلوءة انبأ عنها فيؤْذن لهُ في اخراجها فيخرجها بيدهِ ويسلمها لصاحب الصدف ثم يعود الى مرث ذلك اللحم المنتن والتفتيش عن اللؤلوء فيهِ · ومتى تم مرث اللحم كلهِ يفرغ في كيس ويوضع

في الشمس حتى يجف فيفتش فيهِ عن اللؤلؤ الصغير الذي لم يعثر بهِ الرجل وهو يمرثهُ ومهما جفَّ تبقى رائحتهُ خبيثة لا تطاق

ايصدَّق ان تلك الدرر النفيسة التي تتألق في نحور الحور تتولَّد من مرض يصيب حيوان الصدف — من خرَّاج وافد كالطاعون الذي يصيب الناس ثم تستخرج من الصدف وهو قرارة اقذار ودمنة فساد

قال الكاتب الذي نقلنا عنهُ اكثر الشرح المتقدم انهُ اقتدى بغيرهِ فابتاع بعض الاصداف وتركها حتى انتنت ثم استخرج اللؤلؤ منها وكان لؤلؤها كثيرًا ولكن اكثرهُ صغير غير منتظم والكبير المنتظم فيهِ جميل جدًّا لكن زال جمالهُ من عينيهِ لانهُ صار يتذكر معهُ الحالة التي وجدهُ فيها

ويبتدئ فصل الغوص على الصدف في نحو العشرين من شهر فبراير ويدوم خمسة اسابيع او ستة مدة الفترة بين النوئين ومتى انتهى عاد الغواصون الى بيوتهم في خليج فارس او سواحل الهند والتجار الى بلدانهم المختلفة وهدمت منازل المدينة التي كانوا فيها ولم يبقَ من آثارهم الَّا اكوام الصدف على الشاطئ

ومغاوص سيلان قديمة جدًّا ذكر الآريون الذين اجتاحوا تلك البلاد قبل المسيح بخمس مئة سنة انهم ارسلوا منها هدايا فاخرة من اللؤلؤ. ومرَّت القرون ومغاوص سيلان مشهورة شرقًا وغربًا وقد ذكرها السيَّاح من كل الامم من اليونانيين والمصريين والعرب والبندقيين والجنويين. ولما امتلك البرتوغاليون سيلان اهتموا باستخراج اللولوء منها وتلاهم الهولنديون ثم الانكليز

ويظهر من تاريخ هذه المغاوص انها تمحل في بعض السنين فلا يوجد فيها شيءٌ يعتدُّ بهِ من صدف اللؤلوء ثم تخصب بعد ذلك ويكثر صدفها فلما ملكها الهولنديون سنة ١٦٥٨ كانت ماحلة وكان السكان الذين يعتمدون على استخراج اللؤلوء في حالة يرثى لها من الفقر. ثم اخصبت سنة ١٦٦٢ وسنة ١٦٦٩ وعادت فاجدبت حتى سنة ١٦٩١ واجدبت ثانية سنة ١٧٠٠ وتكرر خصبها وجدبها فمن سنة ١٦٦٦ الى سنة ١٩٠٤ لم يستخرج اللؤلؤ منها الَّا في ثمان وخمسين سنة فكأنها اخصبت ٥٨ سنة واجدبت ١٨٠ سنة. ومن سنة ١٨٣٨ الى سنة ١٩٠٤ لم يوجد اللؤلؤ الَّا في عشرين سنة. وبلغ دخل حكومة سيلان من هذه المغاوص في كل هذه المدة ٦٥٧٠٠٠ جنيه اي عشرة آلاف جنيه في السنة انفقتها او انفقت اكثر منها على انشاء الاكواخ وارسال الموظفين والشرطة والخفراء. وقد ضمّنت هذه المغاوص الآن بعشرين الف

جنيه في السنة فتخلصت من هذه النفقات واذا لم تصب المغاوص بالجدب على جاري العادة او اذا علم الضامنون طريقة يداوون الجدب بها فبقيت غلتها كما كانت سنة ١٩٠٥ ربحوا من ذلك ربحاً وافراً لانهُ خرج منها تلك السنة نحو ٧٨ مليوناً و٥٠٠ الف صدفة بيعت بنحو ١٧٥ الف جنيه . والمرجح ان الضامنين يعلمون سبيلاً لتخليص المغاوص من الجدب لانهم بعثوا جماعة من العلماء بحثوا فيها قبلما ضمنوها فاذا افلحوا فلا بدَّ من رخص اللؤلؤ على اثر ذلك الاَّ اذا زاد الغواني ابتياعاً لهُ وتنافساً بهِ وتحكَّم الضامنون في ما يستخرجونهُ منهُ ويعرضونهُ للبيع

فوضى الكتَّاب

ضمني واحد المستشرقين الاوربيين مجلسٌ دار فيهِ الحديث على النهضة الادبيَّة في سوريا ومصر فادهشني من الرجل سعة اطلاعهِ على تاريخ هذه النهضة وعلى دقائق شؤُون الانقلاب الذي حدث في مدى النصف الاخير من القرن التاسع عشر واحببت ان اسرد اهم اقوالهِ لما فيها من الفائدة

ولا بدَّ لي قبل الخوض في باب الموضوع ان انوه بفضل محدثي فهو من رجال العلم الذين دأبوا منذ حداثتهم على التوسع في البحث وعلى تحكيم العقل في المشاهدات لاستنتاج الحقائق على انهُ يعرف بضعةً من اللغات الشرقية معرفةً مستحسنة اما في العربية فهو راسخ القدم يكاد لا يمرُّ بهِ ذكر كتاب الاَّ استحصلهُ وقرأهُ فرأيهُ اذاً ثقة يرجع اليهِ

قال محدثي اني رجل قرأْت العربية في شبابي واقمت في سوريا ومصر ردحاً من الزمن توسعاً في معرفة اللغة وتمكناً من فهم اصطلاحات المتكلمين وقد مرَّ عليَّ حتى الآن نحو من اربعين سنة اقرأُ معظم ما ينشر من الكتب والمجلات والجرائد تتبعاً لسير الافكار عندكم فكأَني معرض حي لآثار النهضة

رأَيت في بدء مطالعاتي ان بعض كتبة تلك الاونة يحاولون تقليد الكتبة الاقدمين فلا يحسنون ولكنهم يخبطون خبط عشواء لا سيما وان منهم من كان يتحرَّى تحسين كتابتهِ بالاستعارات والكنايات وامثالها من المحسنات اللفظية ليستروا ضعف المعاني وسخافة التركيب وغيرهم يسجعون الكلام فيجيءُ سجعهم ركيكاً مقلقلاً . واكثر ما كان هذا بين الناشئين من الكتَّاب في مصر . الاَّ ان هذا الكلام لا يدل على اني لم اجد بين كتَّاب مصر يومئذٍ من

بجيد الصناعة بل بالعكس قرأت لافرادٍ منهم رسائل وكتباً معرَّبة تدل على جدارة كتابها حتى ان منهم من احسن تقليد المتقدمين

غير ان دراسة تلك الكتابات جملةً تدل كما قلت على ان الكتابة كانت في طورها الاول واما في سوريا فالذين كتبوا يومئذٍ ارادوا التخلص من قيود التقليد القديم ولكنهم لم يتخلصوا. فبرزت كتاباتهم ضعيفة التركيب سقيمة المباني

ونُشرت الجرائد القليلة في سوريا ومصر ضعيفة معني ومبنى بحيث لا يقتدر النشؤُ على الاستفادة منها

وظلَّ هذا الحال بضع سنين كنت في خلالها اظن ان سبب هذا الضعف قصد كتابها ان يغيروا مناهج العهد القديم بعبارة بسيطة تفهمها العامة التي صارت لا تقوى على فهم لغة ابن المقفع وابن خلدون وابن عبد ربهِ وامثالهم

ولكني لما عدت الى سوريا واجتمعت ببعض اولئك الكتاب رأيتهم قد تعلموا العربية في كتب حديثة ومن ثمَّ لم اجد منهم من تمرن على قراءة الكتب القديمة ليكتسب منها ملكة الانشاء الصحيح

واما المعاني فرأيت السوريين يجهدون النفس بالاطلاع على المعارف والآداب الاوربية اطلاعاً سطحياً لينشروها بين قومهم وقد لحظت مراراً انهم يترجمون من غير تثبت ويكتبون عن غير تدقيق فعذرتهم لاني عرفت ان التعليم عندهم كان حتى يومئذٍ قاصراً على المبادئ الاولى . والافراد القليلون الذين كانوا قرأوا العلم لم يكونوا من العاملين في الكتابة والكاتب العالم كان مضطرًّا لمجاراة الجمهور في اختيار المواضيع المألوفة ووضع المعاني التي يقبلها الذوق العام

بحثت عن المدارس فرأيتها يومئذٍ ابتدائية كلها يتجه تعليمها الى تلقين بعض المبادئ الاولية والى تعليم لغة اصحاب تلك المدارس. ولكني املت خيراً بالمدرسة الكلية الاميركانية لاني علمت بسعيها في تعليم العلوم العالية

ولا تسلني عن مصر يومئذٍ لان التعليم فيها كان قاصراً والانشاء كان على حالهِ الاول من الضعف والركاكة والافراد الذين كانوا يعرفون العلوم الحديثة ويملكون ناصية الانشاء لم يكونوا على الاكثر من الكتَّاب . فكانت الناشئة تعتمد في مطالعاتها على كتب سورية وجرائدها مع ان مطابع مصر كانت منذ سنين تنشر مؤلفات قديمة او معرَّبات مستحدثة حسنة في بابها وهي بجملتها ارقى انشاءً واسلم لغةً من بعض المؤلفات والمعرَّبات التي طبعها في سوريا بعض مستشرقي نزلائها من الافرنج

لم يمضِ عليّ الاَّ بضع سنين حتى رأَيت للقلم السوري نهضةً مدهشة . انتفت الركاكة سمّجت التراكيب . حسن النسق . دبّ المعنى في المبنى. فاستبشرت بالانقلاب الى الاحسن وتتبعت المجرى فازددت اعجاباً بذكاء الشرقيّ وسرعة اقتباسهِ . رأَيت ان شعلة الاجادة التي علقت في سوريا قد امتدّت الى مصر . فاصبحت جرائدها التي كانت ركيكةً ضعيفةً في ثوبٍ قشيب من حسن الانشاء ورقة التعبير وامتدت صناعة القلم وكثرت كثرةً يدل ظاهرها على استفحال الادب . اما سورية فانها وقفت حيث بلغت من التأليف والكتابة لان معظم كتابها برحوها واتخذوا من مهاجرهم مظاهر لبنات افكارهم

ولما سعيت لمعرفة اسباب هذه الحالة المستحسنة تبينتها فاذا هي منبعثة عن تمرّن الطلبة على الانشاء الجيد بقراءة الكتب القديمة واختيار اطايب تراكيبها على انهم لم يتقيدوا بقيود المعاني القديمة والمباني المنصوص عليها بل صاروا ينتقون المباني للتعبير عن المعاني التي تجول في خواطرهم

وهذهِ المعاني نفسها قد اتسعت لديهم دائرتها بما تلقنوهُ من قراءة كتب السابقين في الحضارة وبما صار اليهِ معظم حملة الاقلام من سعة الاطلاع

على ان للمدارس يداً في تثقيف هذه الناشئة وفي رقيّ افكارها والمدرسة الكلية الاميركانية لم تبقَ الوحيدة في تعليم العلوم العالية بل تبعتها المدارس الاخرى وكثر عدد المتخرجين

فمما تقدم يظهر لك اني اعترف بارتقاء الانشاء في سوريا ومصر الى درجةٍ عالية في ذوقي الاَّ اني لا اقصد ان كتَّاب العربية اليوم صاروا يجارون الكتبة المتقدمين في مناحيهم واساليبهم وانما نهجهم اليوم هو اقرب الى الغرض المقصود من الكتابة بحيث تبلّغ المعاني باساليب متينة التركيب بليغة التعبير . بقي ان بازاء هذا الارتقاء الادبي انحطاطاً يكاد يعادلهُ ويخشى ان تكون عواقبهُ مضرة بالنهضة الادبية بمقدار ما ينفع النهضة تحسين الانشاء ووفاؤُهُ بالغرض

اريد بهذا ان كثيرين من حملة الاقلام يدخلون عالم التأليف والتعريب وانشاء المقالات ويخبطون في ذلك خبط عشواء . يكتبون اشياء ضعيفة السند او هي من قبيل الوهم والخرافة كأَنها حقائق اثبتها العلم . فتضل بها عقول الاحداث وينطلي محالها على السذج الضعاف فينتج من ذلك شيوع الآراء المرجوحة وامتزاجها بالحقائق الراهنة التي يبثها رجال العلم

ومما يؤخذ على هؤلاء الكتّاب انهم يخوضون احيانًا عباب الابحاث العلميّة على غير هدىً كأنهم قرأوا شيئًا لم يفقهوا مغزاهُ اما لانهُ مكتوب بلغةٍ غريبة لا يحسنونها او لغموض المعنى فلا يقعدهم جهلهم عن نشرهِ بين الناس مدبجًا بيراعهم كأنَّ الحقيقة العلمية التي يريدون نشرها تحتمل تلاعب الالفاظ وتنسيق الاساليب في بسطها

وانكى من هؤلاء المعرّبون واكثر ما يقصدون نشرهُ الآداب الافرنجية مصوغةً في قالبٍ قصصي. وهنا يرتكب الكتّاب غلطين الاول في انتقاء المؤلفات التي يريدون تعريبها فانهم قلَّ ان ينظروا الى الفرق بين المجتمع الذي ينقل الحديث عنهُ وبين المجتمع العربي اللغة الذي يراد النقل اليهِ ولذلك قلَّ ما تجد قصةً معرّبة تفيد سوريا ومصر افادةً تهذيبية هي الغاية من وضع التأليف في لغتهِ الاصليَّة فضلاً عن ان الاوربيين والاميركيين قد طرقوا برواياتهم كل مواضع الضعف من عاداتهم وصاروا الى خرق الحجاب الادبي كشفًا لعيوب الفحش ومثل هذا ليس على شيء من الفائدة في الشرق حيث لم تزل المخدرات في بدء اخذهن بالمطالعة وتأثرهنَّ بآدابها والثاني ان المعربين لتلك الاقاصيص لا يتبعون الاصل الاَّ في سرد الحكاية فاذا عرضت لهم نكتة ادبية او موعظة او غير ذلك تجاوزوها كأن واضعها جعلها حجر عثرة في سبيل الفكاهة

فهذه حالة الاقلام العربية اليوم لا يصلح فاسدها ولا يقوم اعوجاجها الاَّ السيطرة عليها والسيطرة المطلوبة تقوم بها المجلات ذلك ان تفتح في عمدها باب الانتقاد فتختار لهُ الرجال الاكفاء يتناولون مباحث الصحف ومنشورات المطابع وينقدونها نقد العارف البصير لا يراد بذلك الحط من كرامة كاتبها بل تمحيص صحيح قولهِ من فاسدهِ. الاَّ ان دون ادراك هذه الغاية في الشرق صعابًا لان الكتبة لا يسلمون لاحدٍ بتصحيح خطائهم بل يحسبون انتقادهم حطًّا من شأنهم وغضًّا من كرامتهم فيسخطون ويناهضون الكاتب والمجلة وينتهي البحث الادبي بهم الى الشتائم والسباب فحسمًا لهذا تقام لجنة عليا من نخبة الناقدين ومحرري المجلات للحكم في النقد والرد عليهِ ولا يعبأُ بعد حكمهم بما يقال في نقضهِ

ومتى سار كتَّاب الشرق على هذا النهج القويم علم الادعياء والمتطفلون ان في سويداء الكتابة رجالاً يحكمون بسداد قولهم او ضعفهِ ولا يلبث الرأي الادبي العام الآخذ بالنشوء ان يسير على هدي هداتهِ فيصح الصحيح وينقضي زمن الفوضى

ي . ي

الفلسفة السريانية

لقد اشتغلت هذه الامة بالفلسفة وحفظ لنا التاريخ اسماء الكثيرين من رجالها الافاضل الذين تفوَّقوا على قومهم بالعلم والاداب واودعوا ما جادت بهِ قرائحهم بطون كتب ما برح معظمها محفوظًا في المتحف البريطاني يشهد بسعة اطلاعهم ومضاء اذهانهم على ان اشتغالهم بالفلسفة كان مقتصرًا منها على الفلسفة المشائية التي ازدهت كثيرًا بين النساطرة واليعاقبة منذ القرن السادس المسيحي حتى القرن التاسع وهي التي اعدت الطريق لظهور الفلسفة العربيَّة

وقد دخلت الفلسفة المشائية مدرسة الرها (اورفا) حوالي اواسط القرن الخامس. حملها النساطرة اليها وكانت علوم السريان وآدابهم من قبل دينيَّة بحتًا الى ان جاء النساطرة سوريا عقيب مجمع افسس فحملوا اليها معهم معارف اليونان لاسيما فلسفة ارسطو المعلم الاكبر استاذ المنطق وواضعهِ ولا يخفى على دارس التاريخ ما كان من شأن هذه الامة مع الكنيسة الشرقية في القسطنطينيَّة يوم شجبت تعاليمها كيف انفصلت عنها واستقلت وذلك ما حمل نوابغ السريان على درس المنطق وانصرافهم بكليتهم اليهِ ليذودوا بهِ عن بيضة معتقدهم ولا غروَ فالمنطق افضل ذريعة لتعزيز الجدل الديني وكل مبحث فيما وراء الطبيعة ومن ثمَّ جعلت الفلسفة المشائية تزداد عند السريان رسوخًا وانتشارًا ويقبل عليها الطلبة اقبالاً عظيمًا من كل فج سحيق لاسيَما بعد ان اخنت يد الحدثان على مدرسة الرها وقام على اثرها المدرستان الشهيرتان اعني بهما مدرسة نصيبين ومدرسة جنديسابور اللتان صارتا لسوريا وبلاد فارس فرقدي الفلسفة والطب وقد كان لعلماء السريان عند الفرس الشأن العظيم والمقام الرفيع حتى دعيت مدرسة الرها بمدرسة الفرس وحتى ان اللغتين اليونانية والسريانية كانتا لغة العلم في الدولة الساسانية

وظلت بلاد فارس الزمن الطويل ملاذًا لاهل العلم من اليونان والسريان فاليونان اتخذوها ملجأً حين امر الامبراطور يوستنيانوس بابعادهم عن مواطنهم والنساطرة يمموها فرارًا من مكايد التعصب الذميم ومما لقوهُ من الرومان عقيب تباين الراي في العقيدة ولهذا السبب صارت قصور الاكاسرة محط رحال العلم والفلسفة وتبارت فيها هم اساطين الادب فوضعوا الكتب وترجموا مؤلفات ارسطو وافلاطون . ومن انفس الآثار السريانية في بلاد فارس رسالة مختصرة في المنطق سريانية اللغة قدمها عالم سرياني لكسرى لم تزل محفوظة حتى اليوم في المتحف البريطاني والرسالة ذات مقدمة طويلة تحسب من الطراز الاول في اسلوبها وحسن

نسقها بين مؤلفات تلك الامة وقد اتصلت بنا منها شذرة نثبت منها لمعة دلالة على الكل قال صاحبها: " الى السعيد كسرى ملك الملوك وافضل الناس من عبدهِ بولس سلام. اني بتقدمتي اليك هديةً فلسفية لم اكُ بالفاعل شيئاً غير اني قدمت اليك ثماراً جنيتها من جنات ملكك كما يقدمون لله تعالى ضحايا متخذة من بين مخلوقاتهِ وبالحقيقة ان الفلسفة افضل جميع الهدايا ويصدق عنها ماقيل عن لسانها ثمري خير من الذهب ومن الابريز وغلتي خير من الفضة (امثال سليمان ص ٨ ع ١٩) وهي عين العقل كما ان عين الجسم بسبب ملاءمتها للنور تنظر الاشياء الخارجية كذلك عين النفس بسبب ملاءمتها للنور العقلي الذي في الكل تنظر النور الذي في الكل كما قال الحكيم: الحكيم عيناهُ في رأسهِ اما الجاهل فيسلك في الظلام (الجامعة ص ٢ ع ١٤) وان الاعمال العقلية ابعد الاعمال العالمية كلها فخراً واعلاها فضلاً وكذلك النفس المثقفة بالعلوم والمتجلية بالآداب تعلو وتسمو على كل النفوس غير المثقفة علو النفس عن الجسد والموجود العاقل عن غير العاقل والحي عن الجماد. وبما ان تهذيب النفس يكون بالعلم فالعلم على قسمين قسم يسعى اليهِ الانسان من نفسهِ فيجدهُ وقسم يحصل عليهِ بواسطة التعليم والتعليم قسمان قسم يتداولهُ الناس وقسم يصل اليهم بواسطة الرسل. على ان التعليم بذاتهِ ليس كافياً للمتعلم حيث يجد ثمت الاختلاف في الرأي والتباين في المذهب بين الاساتذة وجهابذة العلم يرى فريقاً منهم يقول بوجود الهٍ واحد وفريقاً يقول بتعدد الالهة وآخر ينكر الوجود الالهي ومنهم من يقول بقدرة الله على كل شيء ومنهم من يقول انهُ لا يستطيع عمل كل الاشياء معاً ومنهم من يقول ان العالم محدث وبعضهم يقول انهُ قديم ليس لهُ ابتداء وقس على ما ذكرت ما لم اذكرهُ من المسائل التي يستغرق تعداد اوجه الخلاف فيها المؤلفات الكبيرة على ان السبب في وقوع الخلاف في القضايا العلمية ان العلم غير الايمان وموضوعهُ ابداً الاشياء المنظورة والمقابلة للامتحان ومن خصائص البحث فيهِ مصاحبة الريب خلافاً للايمان الذي موضوعاتهُ الاشياء غير المنظورة والتي لا تصحب الريب في ابحاثها ولا تعرف الشك بتاتاً " الخ اه

وفي القرنين السادس والسابع من التاريخ المسيحي توطدت اركان العلم عند السريان ونبغ منهم عدد من الكتبة المجيدين ومعظمهم من جلة دعاة الدين من البطارقة والمطارنة وكلهم ترجموا كتب ارسطو وشرحوها شرحاً وافياً على ان عدداً كبيراً من تلك المؤلفات لعبت بهِ ايدي الدهر فلم يبقَ منها الاَّ الشيء القليل محفوظاً في المتحف البريطاني. وابلغ اولئك الشراح والمفسرين لكتب ارسطو فيلبون ونقولا الدمشقي ولم يصل الينا من مؤلفاتهم العلمية وما ترجموهُ الاَّ ما كان مأخوذاً عن ارسطو ونتف قليلة عزوها الى افلاطون ونسبتها اليهِ غير

موثوقٍ بها وجملة القول انهُ لم يكن عندهم من المذاهب الفلسفية اليونانية الاَّ المشائية وما عرفوا من سواها غير اسماء زعمائها ومكانهم من العلم والعرفان

ومن امعن النظر في تاريخ الفلسفة السريانية يرى ان لهذه الامة فضلاً كبيرًا على العلم بايصال الفلسفة اليونانية والطب وسائر العلوم الى العرب فانها كانت حاقدة على الدولة الرومانيَّة تتربص لها الاحايين لتمرق من طاعتها فيدفعها الضعف حتى اتاح الله لها دخول الفاتحين من العرب فرحبت بهم وخطبت مودتهم واظهرت لهم من التساهل الديني والاخلاص في الخدمة ما اكتسبت بهِ ميلهم. وحبهم وقد انبأَنا التاريخ بما كان من تقرُّب الامويين للنساطرة وبما كان لهم من المنزلة عندهم لمعرفتهم الطب وبراعتهم فيهِ وما حصل لهم ايام العباسيين من الحظوة والمقام الرفيع لاسيما في خلافة المأمون فتلك الحظوة وذلك المقام دفع اولئك الافراد من السريان والنساطرة كابن سرابون واسحق بن حنين وابن بختيشوع وغيرهم الى ان يخلصوا في الخدمة فينشروا العلم اليوناني والفلسفة اليونانيَّة بين العرب

وما كان شأن السريان في تاريخ الفلسفة الاَّ انهم حفظوا الفلسفة اليونانيَّة او بالحري الفلسفة المشائية من الضياع واوصلوها الى العرب فبقيت هنالك في حرز حريز الى ان انقشعت سحب الجهالة عن اوربا فأَمَّت تلك الربوع واقامت بها على الرحب والسعة

وحبذا لو قام من ابناء السريان مَن يثبت لنا بالدليل ان اسلافهُ وسعوا مباحث الفلسفة وزادوا فيها زيادة تذكر لئلاَّ يكونوا مثل اكثر الشرقيين اهل تقليد لا اهل ابتكار

م · ي

احتضارات

رأَيت ان اضيف على ما نشرهُ حضرة الاستاذ عيسى افندي معلوف الاحتضارات التالية

كان يوليوس قيصر من اعاظم قياصرة الرومان تآمر عليهِ كبراءُ رومية واتفقوا على قتلهِ حسدًا منهُ وخوفًا من ان يستأْثر بالملك ويعمل على اذلال الرومانيين وكان بينهم بروتس صديقهُ الحميم الذي رقاهُ قيصر الى ارفع منزلة . ففي ذات يوم اغروهُ بالقدوم الى المحكمة وما استقر بهِ المقام حتى اوصدوا الابواب واطبقوا عليهِ بالسيوف والخناجر. فدافع عن نفسهِ طويلاً دفاع الابطال ولكنهُ لما رأَى بروتس صديقهُ الحميم يهجم عليهِ وبيدهِ خنجر ليطعنهُ بهِ احزنهُ نكرانهُ للجميل فقال لهُ مبكتًا "أَوَانت ايضًا يابروتس ؟" وعندئذ توقف

عن الدفاع وخرّ صريعاً يخبط بدمائهِ · وكان ذلك سنة ٤٤ ق·م

وفي سنة ٤٢ ق·م حكم على بيتوس الروماني بالقتل لاشتراكهِ في مؤامرةٍ على قتل الامبراطور كلوديوس . فلم تشأ زوجتهُ ان تعيش بعد موتهِ فاخذت خنجراً وطعنت نفسها بهِ ثم قدمتهُ لزوجها ليفعل فعلها وقالت لهُ " اني لا اشعر بالمٍ " وخرجت روحها مع كلماتها

وكان شارل التاسع ملك فرنسا قليل الحزم ضعيف الرأي تسلّط عليهِ بعض احزاب حكومتهِ فاقنعوهُ بان يسمح بقتل البروتستانت يوم عيد القديس برثولماوس . وهذا الامر نغّص عيشتهُ بقية حياتهِ فلما حضرتهُ الوفاة سنة ١٥٧٤ التفت الى ممرّضتهِ وصرخ مستغيثاً : ايتها الممرّضة ايتها الممرّضة اية جريمةٍ ارتكبتها اية دماء سفكتها اوّاهُ لقد اذنبت اللهمّ اغفر لي ·" قال ذلك واسلم الروح

وقال الكردينال ولسلي الشهير لما حضرتهُ الوفاة وهو سائر للمحاكمة وكان قد اتهم بالخيانة "لو خدمت الهي بالهمة التي خدمت بها ملكي لما تخلى عني في شيخوختي" · وكانت وفاتهُ سنة ١٥٣٠

وقال اللورد بيرون وهو من اعاظم شعراء الانكليز لما قبض : يجب ان انام الآن . وكانت وفاتهُ سنة ١٨٢٤

وقال فرنكلين الفيلسوف الاميركي ان الرجل المحتضر لا يستطيع عملاً

وقال غايتي الشاعر الالماني الشهير لما حضرتهُ الوفاة سنة ١٨٣٢ : هوذا نور

وقال غريغوريوس الرابع ساعة موتهِ: لقد احببت العدل وابغضت الظلم ولذلك اموت منفياً

وقال هوبس الفيلسوف الانكليزي : "سأسير الآن في سياحتي الاخيرة · واثب وثبة كبيرة في الظلام" وكانت وفاتهُ سنة ١٦٧٩

وقال وشنطن ارفن الكاتب الاميركي الشهير : اذا متُّ اموت بالرب : وتوفي سنة ١٨٥٩

وكان دانيال وبستر اعظم خطيب قام في اميركا ومن اشهر المحامين والسياسيين فيها وآخر كلمات قالها لما حضرتهُ الوفاة " اني لا ازال حيًّا " عني بقولهِ ان ذكرهُ يخلد الى الآن. وقد اصاب فانهُ يعدُّ الآن من اعاظم خطباء العالم · وكانت وفاتهُ سنة ١٨٢٤

وقال نبوليون الثالث وهو يجود بنفسهِ مخاطباً الدكتور كونو: " هل حضرتَ موقعة سيدان ؟ " وهي الموقعة التي انتصر فيها الجيش الالماني على الجيش الفرنساوي سنة ١٨٧٠ واسر فيها نبوليون وكل جيشهِ

وقال وليم بت احد كبار الساسة والخطباء الانكليز لما اتتهُ الوفاة : "آه يا بلادي ما اشد حبي لكِ"

وقال بوب الشاعر الانكليزي وهو يجود بنفسهِ : ان الصداقة جزءٌ من الفضيلة"

وقال شلر الشاعر الالماني العظيم وهو يلفظ انفاسهُ : "هوذا امور كثيرة تتضح لديَّ ويسهل ادراكها عليَّ"

وكان الجنرال ولف الانكليزي قد أُنفذ لمحاصرة كويبك عاصمة كندا لما كانت هذه من املاك فرنسا . وكانت محاطة بالحصون الطبيعية وفيها من الجيوش الفرنساوية المحنكة ما يكاد يجعل فتحها مستحيلاً . ولكن الجنرال ولف لم ييأَس من اخذها . وفي احدى المعارك التي جرت بينهُ وبين الفرنساويين هاجمهم بفرقةٍ من جيشهِ فاصابت ذراعهُ رصاصة كسرتها فربط ذراعهُ بمنديل وتابع الهجوم فاصابتهُ رصاصة اخرى فلم يتوقف فاصابتهُ ثالثة اخترقت صدرهُ فوقع مغشيًّا عليهِ . وبعد قليل هتف الجنود قائلين : انهم يفرون ! انظروا كيف يفرون " ففتح ولف عينيهِ كمن استفاق من نومٍ وقال "من هم الذين يفرون ؟ " فاجاب الجندي ان الاعداء يفرون فهم يندحرون من كل جانب . فامر ولف بارسال فرقة من الجيش لتقطع عليهم خط الرجوع ولما علم ان اوامرهُ عُمل بها قال : "ليتمجد اسم الرب فاني اموت الآن بسلام" وخرجت روحهُ مع كلماتهِ وذلك سنة ١٧٥٩ وبسقوط كويبك تحولت كندا من فرنسا الى انكلترا

ديمتري نجار

الفلسفة العملية

تابع ما قبلهُ

وعدنا في الجزء الماضي ان نتم خطبة الاستاذ جمس الثانية في هذا الجزء ونفصل كلامهُ تفصيلاً يقربهُ من اذهان الذين لم يعتادوا المباحث الفلسفية . ونرى الآن ان لا بدَّ لنا من الاكتفاء بزبدة كلامهِ والتوسع في ما لا بدَّ من التوسع فيهِ لكي يتضح معناهُ لجمهور القراء فالكلام كلامنا ولو كان الاساس الذي بني عليهِ للاستاذ جمس

ذكرنا في الجزء الماضي ان الفلسفة العملية طريقة من طرائق البحث او اسلوب من اساليبهِ يراد بها الوصول الى الحقائق فلا تدَّعي ان هذه الامور او تلك حقائق يجب التسليم بها والوقوف عندها كما يدعي غيرها من المذاهب الفلسفيَّة بل تصرح علانية انها آلة للوصول الى

الحقائق . الأ انها لا تقتصر على كونها طريقاً من طرق البحث بل تتناول شيئاً آخر وهو تصور الحقائق على وجهٍ خاص قلما جرى عليهِ الفلاسفة الاقدمون وهذا هو الامر الذي بينهُ الاستاذ جمس وقال في صددهِ ما خلاصتهُ

ان اكبر نجاحٍ نجحتهُ العلوم الطبيعية في عصرنا هذا هو انها اعتمدت على الاستقراء في الاستدلال . فرأى العلماء ان ما يجري في الكون يجري طبقاً للقوانين الرياضيَّة والنواميس الطبيعيَّة فاعجبوا بهذا الاكتشاف وحسبوا انهم علموا مقاصد الخالق والنواميس التي سنها لهذا الكون وقالوا ان الله يجري على القواعد المنطقية والقوانين الرياضية فقد جعل الاجرام السموية تتبع في سيرها قوانين الجبر والهندسة والقطوع المخروطية . وسن قواعد كبلر للسيَّارات وامر الاجسام الساقطة ان تتسارع في سيرها كمربع الوقت وجعل النور ينكسر في نفوذهِ الاجسام الشفافة على اسلوب تبقى فيهِ النسبة ثابتة بين جيب زاوية الوقوع وجيب زاوية الانكسار وقسم الاحياء الارضيَّة اجناساً وانواعاً وفصائل لا يمتزج بعضها ببعض . وقالوا اننا اذا ادركنا ما بين هذه الموجودات من النسبة ادركنا مقاصد خالقها وفلسفة الكون

ثم ظهر بعد استقراء البحث ان النواميس التي اكتشفها الانسان تقريبية كلها وهي كثيرة جدًّا حتى يتعذر احصاؤُها وكاد يرسخ في الاذهان ان ليس بين النظريات العلميَّة ما يدلُّ على الحقائق المجردة دلالة قاطعة ولكن كل نظرية من هذه النظريات نافعة من بعض الوجوه في الاستدلال بالمعلومات على المجهولات فهي كليَّات جرَّدناها واتفقنا عليها او مصطلحات اتبعناها في التعبير عن الحوادث الطبيعيَّة كأَنها لغة اهل العلم ومن جاراهم واللغة الفاظ يراد بها الدلالة على المعاني لا المعاني نفسها وتقبل التغيير والتحوير على صور شتى كما لا يخفى

ولما شاع ذلك قام اثنان من العلماء وهما شلر ودوي وقالا ان الرأي يصير حقيقةً اذا افاد في الاعمال وفي التوصُّل من المقدَّمات الى ما يُبنى عليها وفي اختصار طرق الاستدلال والوصول الى النتائج من اقصر طريق . فكل رأي يصل بين الاسباب والمسببات والعلل والمعلولات ويسّهل الاعمال ويختصرها هو حق بنسبة ما يستفاد منهُ . كأَن الحق آلة للوصول الى الاغراض

وقد جرى شلر ودوي في فلسفتهم هذه مجرى علماء الجيولوجيا والبيولوجيا والفيلولوجيا (اي علماء بنية الارض وعلماء الحياة وعلماء اللغات) فان النجاح في هذه العلوم بني على فرْض فروض يمكن تعليل امور كثيرة بها مثل فرض فعل المطر والبرد والحر بتفتيت الصخور وجرفها وفعل الوراثة بالنسل وتغيُّر اللغات بالدخيل والتحريف ثم جعل هذه الفروض حقائق

كلية فاعلة في كل زمان ومكان وتعاظم نتائجها على مرور الازمان . وقالا ان التعميم في هذا الامر مثل التعميم في كل امر سواهُ او مثل انتقال الانسان من معتقد الى معتقد آخر فانهُ يكون في نفسهِ امور يعتقد صحتها او يسلّم بها ثم تحدث لهُ حادثة لا تنطبق مع ما يعتقدهُ و يسلم بهِ فيقع في نفسهِ نزاع لم يختبرهُ من قبلُ ويحاول التخلص منهُ بالتوفيق بين معتقداتهِ السابقة وما حدث لهُ بحيث لا تنتقض معتقداتهُ كلها او يبقى منها الجانب الاكبر غير منقوض لان الانسان ميَّال الى الاحتفاظ بما عندهُ فيغيّر عقيدة بعد اخرى الى ان يصل الى فرض جديد يراهُ مفسرًا للحادثة الجديدة ولا ينقض كثيرًا من معتقداتهِ القديمة فيتمسك بهِ مسرورًا كأنهُ ضالتهُ المنشودة

هذا وقد رأينا ان نوضح ذلك بامثلة مألوفة لا سيما وان امثلة ذلك اكثر من ان تحصى وهي تتخلل اعمالنا اليومية . ندخل معملاً من المعامل ونرى فيهِ رجلاً يجول بين العمَّال فنظن انهُ مدير المعمل ثم نراهُ يأمر وينهى فيتحقق ظننا ونكلمهُ كمدير واذا خرجنا حينئذٍ من المعمل قلنا اننا شاهدنا مديرهُ فيهِ ولكن قد يتفق قبلما نخرج ان يدخل المعمل رجل آخر ينظر اليهِ العمَّال نظر الوقار ويقف امامهُ الرجل الذي ظنناهُ مديرًا وقفة المأمور امام الآمر فيتغير حكمنا ونعتقد ان هذا الرجل الثاني هو المدير لا الاول وان الاول وكيلهُ او نائبهُ . وقد يأتي رجل ثالث يقف امامهُ هذان الاثنان وقفة المأمور امام الآمر فيتغير حكمنا الثاني ونحكم ان الرجل الثالث هو المدير الحقيقي . ولم نكن مخطئين لما حكمنا على الرجل الاول انهُ المدير لان كل ما رأيناهُ حينئذٍ كان يدل على ذلك ولا كنا مخطئين لما حكمنا ان الرجل الثاني هو المدير لان كل ما رأيناهُ الى حين حكمنا كان يدل على ذلك مع ان الحكمين فاسدان امام ما عرفناهُ لما دخل الرجل الثالث

ونطالع كتابًا فنرى فيهِ كلمة لا نعلم معناها فنفرض لها معنًى يوافق الجملة التي رأيناها فيها ثم نجدها في الصفحة الثانية والثالثة والمعنى الذي فرضناهُ لها يصلح ان يكون معناها في هاتين الصفحتين ايضًا فنحكم انهُ هو معناها الحقيقي ثم نجدها في الصفحة الرابعة ولكن المعنى الذي فرضناهُ لها لا يستقيم هنا فنفرض لها معنى آخر يصلح لها في هذه الصفحة وفي الصفحات الثلاث الاول وهلمَّ جرًّا الى ان نصل الى المعنى الحقيقي الذي يحتملهُ كل مكان وردت فيهِ في ذلك الكتاب فنرتاح الى ذلك ولاسيما اذا وجدنا ان المعنى الاخير الذي وصلنا اليهِ بالفرض والاستقراء يصح لتلك اللفظة حيثما وجدناها في غير ذلك الكتاب ولكن اذا وجدنا انها تستعمل في كتاب آخر بمعنى آخر اضطررنا اما ان نفرض لها معنيين او ان نحاول تطبيق المعنى الجديد

على الاماكن التي وردت فيها في الكتاب الاول ونحن في كل ذلك مصيبون حسب ما لدينا من وسائل الاستدلال على الحقيقة

ننام ليلاً ثم نستيقظ ونحن نسمع صوتًا في خزانة فنحسب ان فارةً دخلتها وهي تنقر خشبها فنضرب على الخزانة بيدنا فيبطل الصوت فنقول ان الفارة هربت ثم يعود الصوت من الخزانة فنقوم ونفتحها ونفتش عن الفارة فلا نجدها ولكن لا ينتفي ظننا الاول لان الفيران تفعل ذلك ويعود الصوت الى الخزانة فنقوم ونضع فيها مصيدةً ويمضي يوم ويومان والمصيدة لا تصيد شيئًا فنرتاب في صحة ظننا ثم تقع فارة في المصيدة في اليوم الثالث فنرتاح الى ذلك ونقول قد اكتشفنا حقيقة الصوت ومسكنا الفارة التي سببتهُ وننام تلك الليلة ويعود الصوت الى الخزانة كما كان قبلاً فنقول انها فارة اخرى اخت الاول ونعيد المصيدة وتمضي ايام ولا تقع فارة اخرى ولا يزال الصوت على حالهِ فنأخذ نفتش في الخزانة عن سبب آخر لهُ فنجد ثقبًا في خشبها ونستدلُّ منهُ على سوسة في الخشب تنقرهُ فنفتش عنها وننزعها فيبطل الصوت تمامًا ونقول حينئذٍ اننا عرفنا الحقيقة واكتشفنا السبب الحقيقي للصوت

تصاب امرأَة بمرض عصبي وتأتيها امها بماء تفل فيهِ احد الشيوخ وتسقيها اياهُ فتشفى ويشيع في البلد ان الماء الذي يتفل فيهِ ذلك الشيخ يشفي من الامراض ثم تصاب امرأَة اخرى بمرض مثل الاول فيسقيها ذووها ماء تفل فيهِ ذلك الشيخ فتشفى ايضًا فيقع في الاذهان ان الماء الذي يتفل فيهِ الشيخ يشفي الامراض ويحسب اهالي البلد انهم اكتشفوا حقيقة نافعةً لهم ولغيرهم ويذيع اسم الشيخ في الكرامات . ثم تمرض امرأَة ثالثة وتسقى ماء تفل فيهِ فلا تشفى ولكن لا ينتقض الاعتقاد الاول بل يفسَّر عدم شفائها بانها لم تؤْمن بفعل الماء او لم يؤْمن ذووها بفعلهِ . ثم يمسك الشيخ ببعض الجرائم فيقع شيء من الريب في نفوس المعتقدين بهِ لان الكرامات لا ينتظر ان تأتي على غير يد الصلاَّح . ويبحث احد العلماء في الحوادث التي شفيت من شرب الماء الذي تفل فيهِ ذلك الشيخ فيجد ان اعراضها تدلُّ على انها من الامراض الهستيرية الوهمية اي انها لم تكن امراضًا حقيقيَّةً بل اوهام توهمها النساء فزالت من نفسها لما توهمنَ انهنَّ شربنَ دواء يزيلها. وقس على ذلك امورًا لا تحصى تقع للانسان كل يوم

والذي يبلغهُ رأْي جديدة او يكتشف رأْيًا جديدًا يكون في نفسهِ آراء قديمة مخالفة للآراء الجديدة فتأْخذ الآراء القديمة والجديدة تتنازع السيادة في نفسهِ ويكون عقلهُ اميل الى آرائهِ القديمة فيأْخذ يناقض الآراء الجديدة ويدافعها ثم يأْخذ يطبقها على آرائهِ ومعتقداتهِ

القديمة كأَنهُ يريد ان يصطلح معها باقل ما يكون من الخسارة او ان ينزع من نفسهِ اقل ما يكون من الآراء القديمة و يبقي فيها اكثر ما يمكن منها الى ان يجد سبيلاً للتوفيق بين الجديدة والقديمة فيسر بذلك ويرتاح اليهِ

مثال ذلك ان علماء الطبيعة وصلوا بعد البحث والمراقبة والامتحان الى القول ببقاء القوة وبانها محدودة تتحوَّل من شكل الى آخر ولكنها لا تزيد ولا تنقص ابدًا . وكل الاعمال والمكتشفات جاءت مؤيدة لذلك ثم كشف الراديوم فاذا بهِ يشعُّ قوةً غير محدودة حسب الظاهر فلا تفرغ منهُ ولو استمرَّ على اشعاعها الى الابد . فهذا يناقض ناموس الطبيعة الذي حكمنا انهُ ناموس عام فاضطرب العقل لما اكتشف هذا الاكتشاف ثم رأى ان القوة التي يشعها الراديوم كانت مذخورة في جواهرهِ ومتى اشعها كلها في سنين كثيرة نفدت منهُ فاضفنا الى معلوماتنا السابقة ان القوة قد توجد مذخورة في دقائق المادَّة وما بقي منطبق على المعلومات السابقة ومؤيد لناموس حفظ القوة فارتاح العقل لهذا الاكتشاف

ومن هذا القبيل القول ان الاجسام تتمدَّد اذا سخنت وتتقلص اذا بردت فان البحث والمراقبة والامتحان اثبتت كلها صحة هذا الناموس ثم ظهر ان الماء يجري على هذا الناموس الى حد محدود ومتى تجاوزهُ واشتدَّ بردهُ حتى صار جليدًا لم يعد يتقلص بل صار يتمدَّد فظهر في اول الامر ان ناموس التقلص بالبرد منقوض وحاول البعض تفسير هذا الاختلاف بان الله سبحانهُ خالف ناموس الطبيعة في مسألة الماء لكي لا يجمد البحر كلهُ ويموت ما فيهِ من السمك لانهُ اذا تقلص الماء حينما يصير جليدًا وجب ان يغرق في الماء الذي لم يبرد مثلهُ فتتعرَّض طبقة أُخرى من الماء للبرد وتجمد وتغرق ثم تتعرض طبقة ثالثة للبرد وتغرق وهلمَّ جرًّا الى ان يجمد البحر كلهُ . ثم ظهر بالمشاهدة والامتحان ان ما يحدث في الماء اذا جمد يحدث في كل الاجسام التي تجمد وتتبلور بعد ما تكون سائلة كالحديد والنكل والكوبلت. والتمدُّد تابع للتبلور والناموس الاول ناموس التمدُّد بالحر والتقلص بالبرد صحيح ولا داعي للقول ان الله خالف ناموس الطبيعة لكي لا يجمد البحر ويمكن التوفيق بينهُ وبين تمدُّد الماء اذا اشتدَّ بردهُ فجمد بادخال تعليل آخر وهو ان التبلور ينظم الدقائق في اشكال تبعد الدقائق بعضها عن بعض فيتسع الجرم

ويقول الفلاسفة النظريون ان الحق حق لذاتهِ سواء طابق الواقع او لم يطابقهُ لان المطابقة امر ظاهري فلا وجودها يثبت الحق ولا نفيها ينفيهِ لان عدم المطابقة قد يكون من خطإٍ في نظرنا او فهمنا كما يقول اصحاب الوحي ان كل ما يحسبونهُ وحيًا الهيًا حقٌّ وكل ما

يناقضهُ او ما يخالفهُ باطل ولو شهدت كل حواسنا بصحتهِ وجاء اختبار كل الناس مؤيدًا لهُ

وقد يظن لاول وهلة ان الفلسفة العملية تناقض الوحي او الاعتقاد بوجود الله وكل مذاهب الفلاسفة النظريين. وهذا غير صحيح ولا هو المراد من الفلسفة العملية وانما يراد بها التوفيق بين المعتقدات الدينيَّة والنظريَّة وبين الحقائق العملية لانهُ ان كانت العقائد الدينيَّة والنظرية نافعة او صالحة لتكون معزية للانسان مدرّبة لهُ في اعمالهِ وافكارهِ فهي مما تطلبهُ الفلسفة العملية وتؤيدهُ واي نفع اكبر من نفع الاعتقاد الذي يعزي النفس ويصلح السيرة والسريرة

ثم اننا اذا قلنا ان هذا الشيء نافع لا نقيّد نفعهُ بما نستفيدهُ منهُ من الغذاء او من اللذة او من الراحة بل ننظر في النفع ايضًا الى كل ما ترتاح اليهِ النفس من تفسير الغوامض وحل المشكلات وموافقة الآراء القديمة الراسخة فيها او عدم مناقضتها مناقضة مؤلمة او التساهل معها الى ان يتغلب اصح الرأيين على الآخر بسهولة

وقد يظن ايضًا ان الفلسفة العملية تناقض الاديان كلها وهذا الظن فاسد على ما صرَّح بهِ الاستاذ جمس لانهُ اذا وجدت سيرة اصلح من سيرة ووجد اعتقاد يصلح السيرة او يساعد على اصلاحها وجب التمسك بهِ. ويعسر على الناس ان يفصلوا بين ما هو حق وما هو صالح فيعتقدوا ان الحق قد لا يكون صالحًا وان الصالح قد لا يكون حقًّا وان فصلوا بينهما الآن فلا بدَّ من ان يصلوا بينهما غدًا . الَّا ان الامور التي نحسبها حقائق قد تتناقض فاذا وقع فيها ذلك جرت على ناموس بقاء الاصلح فالاصلح منها يبقى والذي هو دونهُ او الذي لا يصلح للبقاء يزول والفلسفة العملية تبحث في ذلك وتساعد اتباعها على البحث عن الخالق غير مقيدة بادلة اهل النظر واقيستهم المنطقية ولا باقوال اهل الحس وشواهدهم الحسيَّة بل تتبع الاقيسة المنطقية والشواهد الحسيَّة معًا ولا ترفض دليلاً مهما كان الَّا بعد ان تنظر فيهِ وترى فسادهُ ومقياسها الذي تعتمد عليهِ الفائدة العملية في اصلاح سيرة الانسان وسريرتهِ وتفسير حوادث الكون تفسيرًا معقولاً

وسنقف عند هذا الحد الى ان نطّلع على سائر خطب الاستاذ جمس في هذا الموضوع ونقف على ادلتهِ وشروحهِ فنقتطف منها ما يحتملهُ المقام

النقود القديمة

يعجب الشرقيّ كثيرًا حين يرى بعض الافرنج يبحثون عن النقود القديمة (الانتيكا) فاذا عثروا على شيءٍ من جيّدها اجزلوا العطاء في ثمنهِ

ولقد سئلنا مرارًا عن رغبة الافرنج هذي فكنا نجيب السائل ان رائدهم من جمعها الفائدة العلمية فنراهُ لا يكاد يصدق ان قطعة من المعدن الصامت سبق لها ان لعبت في المعاملة دورها حتى انقضى ودالت دولتها التي جعلت لها ثمنًا وهي مع ذلك ما برحت ذات فائدة تُرجى فنحن الآن نجلو هذا السر الغامض الاَّ عن الذين اتاهم الله علمًا

لم يكن الناس في بدء امرهم يعرفون البيع والشراء بثمن مسمّى وانما كانوا يتقايضون مقايضة · والمقايضة عبارة عن اعطاء شيءٍ بغيرهِ مما يقوّم بهِ · مثال ذلك ان لزيدٍ حقلاً يزرعهُ قمحًا فيأخذ من غلتهِ كفء حاجتهِ ويبقى عندهُ شيءٌ زائد عن تلك الحاجة على انهُ لم يكن عندهُ انعام يقوم على رعايتها وينتفع بدرها وبالصوف الذي يجزّهُ منها فيتخذ منهُ كساءً وكان لخالد قطيع من الضأن ولكنهُ لم يكن لهُ حقل يزرعهُ فزاد صوف الغنم عند خالدٍ على حاجتهِ كما زاد القمح عند زيدٍ فسعى خالد الى زيد ان يعطيهُ ما زاد عندهُ من القمح فيعطيهُ هو مقدارًا من الصوف يحسب مساويًا لما يُعطى من القمح

وظلت المقايضة بحكم التراضي بين المتعاقدين شائعة بين الاولين حتى اثبت العرف العام نسبة الشيء الواحد الى الآخر · يستدل على هذا بما تجدهُ لهذه العهد من تعامل اهل الفطرة ويستدل على تحكم العرف في تقدير نسبة الاشياء بعضها الى بعض بما تجدهُ مذكورًا في الكتابات الاثريَّة من ان بعض الملوك الفاتحين كانوا اذا غلبوا قطرًا ضربوا الجزية على اهلهِ ذهبًا وفضةً ونحاسًا وحجارًا كريمة وحللاً فاخرة وعبيدًا واماءً وغنمًا وبقرًا وغير ذلك مما يظهر انهُ لم يكن للقوم يومئذٍ شيءٌ يتخذ قاعدةً في الثمن

واستمرّ هذا جاريًا على النهج الذي ذكرنا او قريبًا منهُ حتى ازدادت المعادن وجودًا وانتشارًا فجعل منها قاعدة الثمن او قوامهُ بمعنى انهم صاروا يحسبون الشيء المراد بيعهُ بنسبتهِ الى وزن مسمّى من الذهب او الفضة او النحاس

وما لبث المعدن ان نال مقامهُ في المجتمعات الراقية بعض الشيء او كل الرقي فصار قوامًا يُرجع اليهِ في تعديل الاثمان ولكن معرفة تقويم اثمان العروض الاخرى يرجع في تقديرها الى النسبة بينها وبين الثور او الخروف ثم بين هذين والمعدن

و بدأ التعامل بالمعدن على ان يتخذوا منهُ قطعاً صغاراً يزنونها و يحكمونها على نسبة الثمن المعدَّل من غير تمحيص لصحة المعدن ولا ضابط لسيرهِ . وجرى على هذا معظم الامم القديمة في بدء رقيها وفي عمرانها الاَّ ان المصريين اتخذوا من المعدن خواتم ودمالج وعقوداً وجعلوا لكلٍّ منها ثمناً يرجع فيهِ الى ثمن المواشي لان المواشي قوام المعيشة واهم الاعمال في كثيرٍ من المجتمعات الاولى والدليل القاطع على شأنها في المعاملة انهُ وجدت قطع من الفضة كان يتعامل بها الرومانيون وعليها صورة ثورٍ او غيرهِ من المواشي وفوق هذا فان المال في اللغة اللاتينيَّة Pecunia مشتقٌّ من كلمة Pecu وهي اسم المواشي عندهم

ثم ان هوميروس الشاعر اليوناني الذائع الصيت لم يأتِ بنبإٍ عن وجود النقود المضروبة بين قومهِ مع انهُ لم يهمل شيئاً من مقوّمات حضارتهم فهو يقول في موضعٍ انهم قايضوا ثوراً بسبيكة من النحاس طولها ثلاث اقدام وقال في موضع آخر ان المرأة البارعة تساوي اربعة ثيران

فهذه الرواية اثبتت ان القوم كانوا يتخذون البقر قاعدة لتثمين العروض وان الثور الواحد كان يعادل مقداراً من النحاس

وافادت ايضاً انهم في زمن الشاعر كانوا قد بلغوا من التدرُّج في المعاملة الى حد استعمال السبائك المعدنية . والسبائك كما ترى هي الحلقة الموصلة بين اساليب التعامل القديم والنقود المضروبة . وبها قضي على وزن المعاملة عند ادائها لان السبائك توزن مرةً واحدة عند صوغها و يكتفي بعدّها ولذلك ناب العد مناب الوزن الاَّ ان انقضاء زمن الوزن عند العرب لم يقضِ على الكلمات المستعملة للتعبير عنهُ فتجد كتَّاب العربية حتى في عصر حضارتهم حين لم يكتفوا بالسكة المضروبة عند جيرانهم بل جعلوا يضربونها في بلادهم — حتى يومئذٍ ترى كتَّابهم يقولون وزن لهُ الدراهم او الثمن اذا ارادوا ان يعبروا عن معنى الاداء

واما السبائك من الذهب والفضة فبالطبع لم يكن حجمها كبيراً لتبقى معادلةً لاثمان العروض يدل على هذا ان السبيكة باليونانية تسمى باسمٍ اشتق منهُ اسم ضربٍ من الدريهمات يقال لهُ او بولوس Obolus ومن ثم فان راحة الرجُل تمتلئ بستٍ من تلك الدريهمات واسم الراحة باليونانية مصدر اشتق منهُ اسم الدرخما Drachma التي تساوي ستاً من الاوبولوس

على ان وزن السبائك وسلامة معدنها من الغش لم يكونا في امنٍ بضمان الدولة كما هو الحال في النقود المضروبة

ولما بلغ المعدن الى هذا الحد من صيرورتهِ قواماً لاثمان العروض انتشر في البلدان الراقية فعمَّها او كاد فحدا بالقوم الى نقلهِ درجةً اخرى يؤْمن بها من الخديعة والغش فاصبح نقوداً مضروبةً تقوم الدولة على ضربها بعد تمحيص معدنها وتحقيق مقدارها

الاَّ ان ضرب النقود لم ينحصر في الازمنة الاولى بالدولة لانا رأَينا في زمن السيادة اليونانية ان كثيراً من الاقطار والمدائن كانت تضرب سكتها لذاتها فتكون حكومتها الداخلية هي القائمة مقام الدولة السائدة عليها في ضمان ضربها ورأَينا في اوائل الزمن الروماني حتى زمنِ اغسطس قيصر ان عظماء الرومانيين كانوا يضربون السكة باسمائهم وشعارهم

فكأَن بقاء الضرب مباحاً لبعض العظماء والاقطار بقية اثرية لزمنٍ ماضٍ كان التعامل فيهِ بالمعدن قطعاً او سبائك مباحاً لايّ شاء من الناس

على ان ضرب النقود سهّل المعاملات لان وزن الثمن كان يقضي باضاعة الوقت وقد يفضي في الاحايين الى الخصومة والنزاع لانهُ لا يخلو من مجال للخديعة والغش بحيث يفترض لسلامة المعاملة ان يكون المتعاملون جملةً عارفين متأَهبين لتمحيص المعدن عند كل عقدٍ يعقدونهُ بخلاف حال المتجرين بعد رواج النقود فانهم يأْمنون على سلامة مالهم من الخديعة لان دولتهم تتولى ضرب النقود وتعديلها

فانقلب وجه المعاملة من وزن الثمن الى عدهِ وشعر الناس في كل طبقات المجتمع بالتحسين العظيم الذي أُدخل على اعمالهم ولم تمضِ عليهم الاَّ بضع عشرات من السنين حتى عمَّ انتشار النقود وعظم قدر فائدتها فاعظم الناس نسبة ايجادها للبشر فاضاعوا اسم مخترعها الحكيم ووطنهِ وعصرهِ وشرعوا يقولون بابداع اربابهم لها فنسبها بعضهم للمريخ وآخرون لزحل وغيرهم لغيرها من الارباب التي اوجدتها مخيلاتّهم ولم تبخل عليها بالاوصاف والاساطير

فحاكت النقود غيرها من الاختراعات المفيدة التي انتفع بها الناس منذ بدء عمرانهم بانها ضاع اسم واضعها الاَّ ان للباحث العصري طرقاً علميَّة يهتدي بها الى الصواب او يقترب منهُ

فقد قامت قيامة البحث والجدل فذهب بعضهم الى ان ضرب السكة فارسي النشأَة وايدوا رأْيهم بان اسم الدينار مأْخوذ من السكة التي ضربها داريوس هستاسبس وان سكتي كاريا وليديا المحسوبتين في طليعة الضاربين نقوداً لا تخلوان من شعار فارسي هو بالطبع مستعار من الذين سبقوا الى ذلك الضرب. والشعار المقصود هو رسم الاسد على نقود كاريا والاسد والثور يقتتلان على نقود ليديا والرسمان فارسيان يرمز بالاول الى القوة والنبالة

والسيادة وبالثاني الى تنازع الوطن والاجانب وغلبة الاسد رمز الوطنية

اما القائلون بالنشأة اليونانية فيستندون الى رواية ابي التاريخ هيرودوتس القائل ان الليديين كانوا اول من ضرب الذهب والفضة نقوداً . والليديون قومٌ من سكان اسيا الصغرى تجمعهم واليونان الارومة البلاسجيَّة وقربى اللغة والعادات وكان يتولى الحكم فيهم ملوك من اليونان البحت من الاسرة المعروفة بالهراقليدة التي انقرضت بمقتل آخر ملوكها وقيام جيجيس من فرع آخر من تلك الاسرة وزمن هذا الملك بين سنة ٧٥٥ وسنة ٧٠٠ ق٠م فالى زمنهِ او الى زمن اعقابهِ ينسب ضرب السكة

وقرأ العلماء اثرًا قديمًا محفورًا على قطع رخامية مؤَداهُ ان فيدون الارغوسي كان اول من ضرب السكة من الفضة وذلك في جزيرة اجينا

ووجد في المتحف البريطاني قطعة النقود الذهبية الايونية مضروبة في ملبوس يظهر من خشونة صنعها ومن مجمل هيئتها انها اقدم سكة معروفة حتى الآن فاستدل العلماء بها على ان اصحابها الكاريين كانوا اول من ضرب السكة والكاريون ايضاً من البلاسجة وقد نزلوا اسيا واستعمروها فالراجح اذًا من هذا كلهِ ان الفضل في ضرب السكة عائدٌ الى الامة اليونانية العظيمة ولكن لايعرف حتى الآن الموضع الذي ضربت فيهِ اولاً ٠— واما الزمن فمختلف فيهِ ولكنهُ لا يتجاوز القرن الثامن قبل المسيح

وبعد ان ضربت السكة وانتشرت وعمت البلاد وملكت ناحية التجارة وملأَت الخزائن بعد هذا كلهِ اخنى عليها الدهر فدالت دولها التي اعتزت بها وتغير شكل الجاريات على اثرها ضربًا ورسماً ولغةً حتى كاد الناس لايعرفون من القديم شيئًا

الّا ان الحضارة العصرية كشَّافة الخبيئات فقد اظهرت دفائن الارض وملأَت متاحفها من قديم النقود وحديثها في جملة ماجمعت من آثار السابقين فترى النقود المضروبة وقد غصّت بها المتاحف العامة والمجاميع الخاصة تجذب الانظار ليس لعظيم قيمتها الماديَّة بل لما يُرجى منها من الفائدة المعنويَّة لانها مرَّت في مدى عصورٍ على الصناعة في النقش والحفر والرسم فدلت على مكانتها عند الذين اصطنعوها واختلفت كتابتها قلماً ولغةً ورمزًا فكانت تاريخًا مملوءًا بالحقائق التي لا يُختلف في صحتها

لم تُجمع هذه النقود القديمة للزينة ولا حُشدت للتفاخر ولكنها رتبت وصفّت واكبّ عليها الدارسون والباحثون هذا يأخذ عنها صحة روايتها وذاك تشغلهُ رموزها وغيرها تجلى لهُ صناعتها وكلهم رأوا منها قطعاً ضُربت بين قوم لم يبرحوا الدرجات السفلى من مجتمعهم ثم

صعدوا فرافقتهم اخواتها في رفيهم درجةً فدرجة حتى بلغوا موضعهم من العمران

فدلالتها على احكام الصناعة او القصور فيها مما لا يرتاب فيهِ باحث والاسترشاد بها في ضبط توقيت الازمنة المجهولة لا يختلف فيهِ اثنان وفيها ذكرى للمؤَرخ بما مرَّ عليهِ من اساطير الاقدمين واقاصيص ما يعبدون فضلاً عما هنالك من قولها الفصل في مواضع يختلف عليها الرواة

اعتبر ذلك بما كان من خبرٍ رواهُ المؤَرخ اسطفانوس البزنطي فحسبهُ قوم ضعيفاً ذلك ان قوماً من اليونان برحوا بلادهم يقصدون المهاجرة منها الى اسيا الصغرى لينشئوا لهم مستعمرةً فيها فلما ركبوا سفنهم وتبطنوا بها البحر لحقت بهم اسراب من عجول البحر مما يُدعى باليونانية فوكسي حتى اذا نزلوا البر اختطوا لهم مدينةً دعوها فوسيا وعمهم اسمها بعد حين فسموا فوسيين او فوقيين

فكادت هذه الحكاية تذهب بصدق الرواية جملةً لولا ان جاءت النقود القديمة مصدقة لها فعلى قطعةٍ منها ينتهي عهدها الى اواسط القرن السابع ق٠م رسم اسرابٍ من عجول البحر وفي هذه القطعة من الصناعة الخشنة ما يدل على القدم

واما الرموز الدينيَّة فكثيرة على السكة وفي كثرتها مجالٌ لتحقيق ما رُوي من الاساطير والرموز والكنايات فترى السكة القديمة تتخذ شعار الارباب التي يعظمها ضاربوها فتغني عن الافصاح بما كان يدين بهِ اصحابها فاذا رأَيت سنبلاً من الشعير او الذرة فذلك رمز الى الالهة سريس واذا رأَيت عنقوداً من العنب فذلك اشعار باكوس وان ابصرت ايلاً فالقوم يشيرون بهِ الى ديانا وليس هذا فقط بل ان ثمت من الشعار والرموز الشيء الكثير لغير من ذكر من الارباب

هذا شأن النقود القديمة اما المتأَخرة عنها زمناً فانها تشير الى وقائع تاريخية وانما صارت الى هذه الحالة منذ زمن الاسكندر المكدوني وعصر خلفائهِ المستقلين في دولهم

فمن اهم ما افادت ان التاريخ لم ينبئ صراحةً عن حال بلاد بكتاريا (بلخ) بعد الفتح الاسكندري بحيث لم يكن يُعلم شيء من بقائها على طاعة اليونان بعد موت الفاتح العظيم وتقلص ظلّ قوتهِ العسكرية عنهم بل ان كثيرين من الناس ظنوها مرقت من الطاعة وعادت الى شأنها الاول فلما رأَوا النقود المتخلفة عن اصحابها علموا انهُ وليها بعد الاسكندر كثيرون من الامراء المصطبغين بصبغتهِ اليونانيَّة ولم يكن اظهار هذه الحقيقة التاريخية كل ما بان من نقود بكتاريا بل ترى الباحثين على وشك قراءة لغةٍ جديدة وجدوها على النقود بعد ان لم تكن معروفةً من قبل

واما النقود الرومانية فانها افادت حقائق شتىً من تاريخها حتى ان احد العلماء لقب تلك السكة بالجريدة الرسميَّة لانها تنشر اهم وقائع دولتها ألا ترى كيف انهُ لما غاب اغسطس قيصر على انطونيوس وكليوباطرة وفتح مصر ضرب النقود محفورًا عليها قولهم Egypta Capta اي فتوح مصر

ومما يذكر ان الرومان بدأُوا بنقودهم النحاسية قبل الزمن الامبراطوري اي في مدة الحكم الجمهوري والكلمة العليا فيهِ لندوة النبلاء (السنا) فكانوا يحفرون على السكة S. C. مختصرين من Senatus Consulto اي برأْي الندوة فلما جلس اغسطس قيصر على السرير وغيَّر في ضرب النقود وشكلها وسكّ الذهب والفضة باسمهِ ظلَّ ضرب النحاس جاريًا باعتبار كونهِ نقودًا وطنيَّة ولكنهُ كان يمتاز عن نقود القياصرة بالعبارة المروية قبيل هذا اي بقولهم برأْي الندوة

ولما تسنى لاسبسيانوس قهر اليهود وفتح اورشليم كتب على نقودهِ ايضًا Judea Capta اي فتوح اليهودية

واغرب ما هنالك سكة ضربت على عهد تراجنوس حفر عليها ما تعريبهُ : لاحسن الامبراطرة القيصر نرڤا تراجنوس اغسطس جرمانيكوس داشيكوس بارثكوس رئيس الاحبار القائم بمنصب السلطة القنصلية ابي الوطن :

ورسم على الوجه الآخر تمثالهُ راكبًا جوادًا مطهمًا بالعدة الفاخرة ومشرعًا رمحهُ ليطعن بهِ عدوًّا ملقى على الارض يظهر من قبعتهِ ولباسهِ انهُ رمز الى ملك الداشيين المغلوبين وهنالك كتابة معناها : الندوة والشعب الروماني الى احسن الملوك

فيتضح من هذه الكتابة ان الندوة اكرمت القيصر بعد غلبهِ على الداشيين بضرب هذه النقود تمجيدًا لاعمالهِ ونوهت بذلك واما قولها جرمانكوس داشيكوس بارثكوس فهي القاب تعرَّب بالجرماني الداشي البرثي ولا يراد بها نسبة قيصرهم لتلك البلاد بل التنويه بظفرهِ عليها

ولا يعجبنَّ القارئ لاحتواء قطعة صغيرة على مثل هذا الكلام الكثير فان الذين حفروهُ على المعدن لم يكونوا يكتبون الكلمة بكل حروفها وانما كانوا يكتبون من كل كلمةٍ حرفًا او حرفين و بذلك تركوا لقراء كتابتهم مجالاً لاظهار براعتهم

ولهذا القيصر نقود اخرى تشير الى حادثٍ تاريخي مهم ذلك انهُ مثّل بها القيصر جالسًا على كرسيّ وهو يتوّج ملكًا واقفًا امامهُ وامام الملك المتوّج رجلٌ جاثٍ يستقبل المتوّج بالتجلة الواجبة للملك وتحت هذه الرسوم كتابة لاتينيَّة نصها Rex. Parthis. Datvs.

اي اعطى للبرثيين ملك · وهي تشير الى ان البرثيين اعداء الرومانيين الاشداء دانوا لسلطان تراجنوس فالتمسوا منهُ ان يقيم عليهم ملكًا ففعل

هذا بعض ما افاد درس النقود القديمة ولو وسع المقام لاسهبنا فيهِ ولكننا اجتزأْنا بالقليل الدال على موضع هذا الدرس من الفائدة

فحريٌّ بادبائنا ان يقرأُوا علم النقود القديمة Numismatique; Numismatics فهو على حداثة عهدهِ لا يعدم مكانةً سامية عند الافرنج ومع ان بلادنا الفسيحة الارجاء قد ملأَت خزائن الجمّاع والمتاحف مما وجد فيها فهي ما برحت معينًا لا ينضب لانواع النقود المضروبة في عصورٍ شتى · ونرى الباحثين في الآثار كلما ملكوا قطعةً اكبوا على درسها فيجنون منها الفائدة الادبية · والمتجرون بها يربحون الربح المالي ولو كانوا يفقهون قدر ما يتعاملون بهِ لزاد كسبهم

فعسى هذه السطور ان تحرك الهمم الشرقية فتفوز البلاد في القريب العاجل بقومٍ يجعلون دأْبهم البحث والتفتيش عن نقود قديمة يقرأُونها ويستنبطون منها الاحكام الصحيحة ويستجلون الحقائق الغامضة فيكونون مشكاة علمٍ وعرفان وينقضي فعلاً زمن الاهتمام بالكسب المادي مجرَّدًا عن كل فائدة ادبية

لاحد المهتمين بهذا العلم

حمَّى مالطة

ذكرنا في الجزء الماضي انهُ ظهر بالبحث ان السبب الاكبر لانتشار الحمَّى المعروفة بحمَّى مالطة هو شرب لبن المعزى اي ان المعزى سبب هذه الحمَّى · وقد وقفنا الآن على كلام في مجلة ناتشر في هذا الموضوع قيل فيهِ ان جزيرة مالطة يجب ان تكون من اصح البلدان هواءً لانها واقعة في وسط البحر المتوسط تعصف بها الرياح الاربع فتنقي هواءَها وتفيض عليها اشعة الشمس اكثر شهور السنة فتطهرها وليس فيها برُك ولا مستنقعات فلا سبيل لدخول الملاريا اليها ولو كان هواؤُها حارًّا لان الحمَّى الملارية لا تتولَّد الاَّ من البعوض الذي يتولَّد في برك الماء · ولكن انتشر في هذه الجزيرة منذ زمن طويل حمًّى مستعصية اصيب بها سكانها بنوع عام والحامية الانكليزيَّة التي فيها بنوع خاص فيصاب بها كل سنة نحو ٦٥٠ من الجنود والبحارة يقيم كلٌّ منهم مريضًا نحو ١٢٠ يومًا فكأَنهم يمرضون ثمانين الف يوم في السنة ولا يقف الضرر عند هذا الحد بل يضطرُّ كثيرون منهم ان يعودوا الى البلاد الانكليزيَّة لكي يستردُّوا صحتهم فتزيد النفقات عليهم وعلى الحكومة

والظاهر ان هذه الحمَّى موجودة في غير مالطة من البلدان المتاخمة للبحر المتوسط ولكنها اشدُّ وطأَةً في مالطة منها في غيرها ولذلك سميت حمَّى مالطة

واقد بحث العلماء الآن عن سببها كما بحثوا عن اسباب غيرها من الامراض فاهتدوا الى السبب واتَّقوهُ منذ الصيف الماضي فكادت الحمَّى تستأصل من بين الحامية

ابتدأَ البحث سنة ١٩٠٤ فارسلت الجمعية الملكية لجنة صغيرة الى مالطة مؤلفة من بعض الاطباء فبحثت ودققت حتى عرفت سبب الحمَّى وكيفيَّة وصولها الى الحامية . فقد وجد احد الاطباء منذ سنة ١٨٨٧ ان الذين يصابون بها يوجد في دمهم نوع خاص من الميكروب فتحققت اللجنة ذلك وجعلت تبحث عن الموصل لهذا الميكروب الى جسم الانسان فوجدت ان معزى مالطة تصاب ايضًا بهِ فينتشر سمهُ في جسمها وترجح لها ان حمَّى مالطة مرض من امراض المعزى اصلاً وتنتقل منها الى الانسان بالعدوى. وفي الجزيرة عشرون الف رأس من المعزى واكثر لبن سكان الجزيرة منها وقد اكتشفت اللجنة ان نصف هذه المعزى مصاب بحمى مالطة والمكروب يخرج من جسمها مع لبنها مع انهُ لا يظهر عليها شيءٌ من دلائل الحمَّى كأَن المكروب اتخذ اجسامها منازل ينزلها وينفث سمهُ فيها حتى يخرج مع لبنها او يخرج هو نفسهُ مع اللبن ويصيب من يشربهُ . فالسبيل للنجاة من هذه الحمَّى الامتناع عن شرب لبن المعزى . وقد منع الجنود من اللبن من شهر يونيو سنة ١٩٠٦ فقلَّت الاصابات بالحمَّى ولم يبقَ الاَّ عشرها . وهذا من اوضح الادلَّة على فائدة البحث العلمي . انتهى

وقد قال لنا غير واحد من الاطباء انهم شاهدوا حمى مالطة في القطر المصري وهي غير شائعة فيهِ ولكن لا يبعد ان تشيع فاذا كانت حادثة هنا ايضًا من شرب لبن المعزى فالحكمة توجب الامتناع عنهُ او اغلاءهُ دائمًا قبل شربهِ لان الاغلاء يميت الميكروبات دائمًا ويميت بزورها غالبًا . وحبذا لو بحث اساتذة مدرسة القصر العيني في هذا الموضوع بحثًا مدققًا ليعلموا هل في لبن المعزى في القطر المصري شيءٌ من ميكروب حمى مالطة او من سمهِ ونشروا نتيجة بحثهم افادة للجمهور

ويجدر بالحكومة المصرية ان تقيم لجنةً من اساتذة المدرسة الطبيَّة تهتم بالبحث عن اسباب كل الامراض التي تنتشر في القطر المصري وكيفية انتقالها او ان تكافئ من يكتشف سبب مرض وكيفية انتقالهِ مكافأَةً مالية كبيرة جزاءً لهُ وترغيبًا لغيرهِ . ومهما انفقت في هذا السبيل فهي الرابحة لانهُ اذا كشف سبب مرض واحد يصيب الناس او المواشي فالفائدة المالية من انتقائهِ ومنعهِ تقدَّر بالوف كثيرة من الجنيهات ان لم يكن بمئات الالوف

فقد ابنا في الجزء الماضي ان خسارة القطر من مرض الفلاحين بالحمى الملارية لا تقل عن ثلثمئة الف جنيه في السنة هذا اذا شفوا كلهم ولم يمت منهم احد بها . والخسارة المالية اعظم من ذلك كثيرًا اذا توفي بعضهم

السر بنيامين باكر

للسر بنيامين باكر اسم مشهور في القطر المصري وفضل مشكور على بنيهِ لانهُ كان مستشارًا للحكومة المصرية في بناء الخزان

وهو مهندس كبير اشتغل بكثير من الاعمال الهندسيَّة الخطيرة التي تمت في عصرهِ فوفاتهُ حرمت فن الهندسة المدنيَّة من رجل من اشهر رجالهِ والعلوم الطبيعيَّة من عالم عامل قرن العلم بالعمل وكتب وخطب في كثير من المواضيع العلميَّة

ولد سنة ١٨٤٠ واشتغل بفن الهندسة وقضى الثلاثين السنة الاخيرة من عمرهِ يرسم الرسوم الهندسيَّة للاعمال الهندسية الكبيرة في بلادهِ وغيرها ويجرب التجارب لمعرفة متانة المواد التي تستخدم في البناء ومتانة اشكال البناء المختلفة وكان يكتب خلاصة تجاربهِ ويقدمها الى الجمعيات العلميَّة ولهُ رسالة موضوعها "البحث النظري في اصلح الاساليب لانشاء الكباري (الجسور) الكبيرة" وعلى هذه المباحث انشئ كبري الفُرث في بلاد الانكليز وستة كباري اخرى من اكبر الكباري التي أُنشئت في المسكونة

قالت جريدة ناتشر في ترجمتهِ ان اسمهُ سيبقى مقرونًا بنوع خاص بكبري الفرث وبخزان اصوان وقد أُعطي لقب سر لما اتم كبري الفرث واعطي وسامًا آخر لما اتمَّ الخزان ونال النشان المجيدي من الحضرة الخديوية

وعرضت عليهِ مسأَلة تعلية الخزان منذ سنتين فجعل يبحث فيها وفي متانة الكباري والضغط على السدود واستخلص من بحثهِ رسالة نشرت في تقرير اللورد كرومر الاخير قال فيها انهُ يمكن تعلية سد الخزان تعلية يؤْمن معها الخطر فيزيد مقدار الماء المخزون ضعفًا ونصفًا

ولهُ شأن كبير في انشاء سكك الحديد في البلاد الانكليزية وانشاء الاسراب التي مدت فيها السكك الكهربائية في مدينة لندن

وكان عضوًا في الجمعيَّة الملكية وانتخب منذ سنتين رئيسًا لمجمع المهندسين الملكيين

وكانت وفاتهُ فجأَة في التاسع عشر من شهر مايو الماضي ولهُ من العمر سبع وستون سنة

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

لمن الرئاسة في العائلة

من المعلوم ان الرئاسة في العائلة يتولاها عادة شخصان هما الرجل والمرأة على ان الرجل هو الرئيس الاكبر وصاحب السلطة التي لم ينازع عليها عند امةٍ من الامم ولا في زمنٍ من الازمان

ولا ريب ان السلطة من احسن حاجات العائلة لحفظ كيانها وانتظام امورها ذلك انها تتألف من اشخاص تتباين في الافكار والعواطف ثمَّ بينهم صغار قاصرون عن العمل ضعاف يحتاجون لمن يكونوا عيالاً عليهِ ليسدد امورهم ويدبر شؤُونهم ولما كان من مقتضيات السلطة القوة والادراك وجب ان توسد للرجل لانهُ اشدّ قوةً واوفر ادراكاً

واذا رجعنا الى العصور الخالية وبحثنا في شؤُون العائلة نرى ان سلطة الرجل كانت ضرباً من الاسترقاق بحيث كانت الزوجة والولد ملكاً لهُ يتصرف في حياتهم وسائر شؤُونهم على ما يريد غير معارض في شيءٍ من امورهم وحسبك ان كلمة العائلة في اللغة اللاتينيَّة Famulus ومعناها الاسترقاق (١) تدل على ما كان للرجل من السلطة المطلقة على عائلتهِ ومثل هذه السلطة او ما يقرب منها كانت للفرس والهنود والعبرانيين على اولادهم حتى ان اهل اسبارطة كان اذا رأى الرجل منهم في ولدهِ الضعف وعدم الاقتدار نبذهُ عنهُ او قتلهُ . وقد عرفنا من التاريخ ان السواد الاعظم من قبائل العرب كانت تئد بناتها خيفة العار او هرباً من المجاعة

على ان هذه السلطة نشأَت من سلطة الجنس القوي على الجنس الضعيف يوم لم يكن للعائلة ملاذ الاَّ ذراع الرجل ولا ملجأٌ سواهُ ولئن ارتقى المجتمع الانساني ورفعت فوقهُ الوية العدل وتساوى فيهِ الضعيف والقوي مع ذلك لم تزل العائلة تحتاج الى من يدرأُ عنها المضار

---

(١) [المقتطف] هذا مذهب الكاتب والمشهور ان الكلمة مشتقة من فاما ومعناها بيت او مسكن

ويقيها مكاره الايام فان المرأة شجاعة في الاحايين ولكنها جبانة بالطبيعة والعادة تحتاج الى معين يقيها بقوة ذراعهِ الملمات ولهذا فالرجل سيد العائلة ولهُ حق السلطة عليها

ولا اخال المرأة تنكر على الرجل تفوُّقهُ عليها بقوة العضل الاَّ اني في ريبةٍ من اعترافها لهُ بتفوقهِ عليها بالادراك غير ان القول الحق ان لادراك كلٍّ من الجنسين خصائص تختلف عن خصائص الآخر فالرجل يمتاز عن المرأة بثلاث خصائص في ادراكهِ وهذه الخصائص هي اولاً ان ادراك الرجل اوسع امتداداً ثانياً انهُ اكثر استقصاء للامور ثالثاً انهُ اقل تشيعاً وهذه الخصائص تخولهُ حق الرئاسة دون المرأة

قلنا ان ادراك الرجل اوسع امتداداً من ادراك المرأة ذلك لا ريب فيهِ لان الرجل اوفر معرفةً للاشياء من المرأة ومعرفتهُ للاشياء ابعد غوراً من معرفتها وهو اكثر منها اعتياداً على المقايسة والحكم وهي على عكس ذلك لانها تنظر الاشياء من احدى جهاتها ولأن كل مؤثر يطرأُ عليها يحدث فيها انفعالاً شديداً ولذا تكون تصوراتها في اغلب الاحايين منافيةً للواقع ومشوبة بالنقص وزد على ذلك انهُ هو حر غير مقيد مثلها فيمرّ امامهُ من الحوادث ما لا يمرّ امامها ويقع لهُ من الشؤُون ما لا يقع لها فيزداد عنها علماً واختباراً

والخاصة الثانية ان الرجل اكثر استقصاء للامور لانهُ اقل منها انفعالاً بالمؤثرات ولما كانت تصوراتهُ اعم كان اقدر منها على الاستدلال فالمرأة قلما تستدل وحكمها تابع لعواطفها يتبين لك ذلك من جدلها فانها تقابل ادلتك القاطعة بالسفسطة واسهل عليك اقناعها بالسفسطة من اقناعها بالقياس المستقيم. قال كاتب من الثقاة البارعين انهُ لم يلقَ بين النساء واحدة حتى ولا من المبرزات بينهنَّ من كانت تتبع القياس المجرد ولو ربع ساعةٍ الاَّ ان لكل قاعدة شواذ فان مدام دي شاتلا وضعت رسالة في الجبر واثرت ان تكون شارحةً لطبيعيات نيوتن من ان تكون كمدام سافينيه مالكة ناصية البلاغة في رسائلها لابنتها

والخاصة الثالثة التي يمتاز بها الرجل على المرأة عدم التشيع وبعبارة اخرى تأهلهُ للحكم لبعدهِ عن الغرض وتجردهِ عن الهوى لا نقول ذلك اطلاقاً ولا نقصد بهِ ان الرجل لا يحرفهُ هواهُ ولا يفعل بهِ الغرض فيضلّ سواء السبيل وانما نقصد بذلك ان معظم الرجال اعدل من النساء وبعبارة النحاة حقيقة الرجل اقوى من حقيقة المرأة ولذلك فهم اقوى من ان تلعب الاهواء بحكمهم كما تلعب باحكام المرأة لانها شديدة العواطف تنفعل بالمؤثرات جداً فلا تبتُّ حكماً ولا تقضي امراً الاَّ بما تمليهِ عليها العواطف وتوحيهِ اليها الاهواء وهي لا تنظر الى الاشياء الاَّ من جهةٍ واحدة الى الجهة التي تلائمها على ان من الرجال من فيهِ طبيعة النساء

فيخضع للعواطف خضوع الآلة لمحركها ومن النساء من يتخذن العقل نبراساً يستهدين بانوارهِ فلا يسترسلن للعواطف في احكامهنَّ غير ان القاعدة الاغلبية ان الرجل يحكم بما يوحي اليهِ العقل والمرأَة بما تزينهُ لها العواطف

ولا غرابة بعد ان توفرت في الرجل شرائط الحكم ان توسَّد لهُ الرئاسة في العائلة على ان سلطتهُ مقرونة بواجبات فرضها الحق واوجبها القانون وليس هو بالرئيس المطاع منها الاَّ لانهُ محتوم عليهِ بالطبيعة صونها من كل كارثةٍ ودفع كل ضارٍ وجلب كل ما يعود لخيرها ونعيم عيشها والاَّ حسبت سلطتهُ عليها ظلماً وبهتاناً

ولقد انتظمت شؤُون الهيئات الاجتماعية وبلغت في معظم الارض من التمدن شأْواً بعيداً بحيث لم يعد الرجل الحامي الوحيد للعائلة والدافع لجور المعتدين واعتساف العتاة فالحكومات قائمة بكل ما يضمن الراحة ويبسط لواء الامن الاَّ ان الرجل مسؤُول بغير ذلك مسؤُول اولاً نحو امرأَتهِ بان لا يخرج بسلطتهِ معها عن حد المعقول بل يتخذها شريكتهُ في الحياة ويجري معها على المعنى المقصود من الزواج وهو ميثاق اشتراكٍ واتحاد يبرم بين الاثنين قضاءً لواجب حفظ النوع فان لم يرعَ من الجنسين حق الاشتراك المبرم كان المخالف للشرائط خؤُوناً على انَّ من اهم واجبات الرجل المساواة بينهُ وبين زوجتهِ تلك المساواة المعروفة بتبادل الحقوق والواجبات لانهُ ان لم تكن مساواة ادبية لم يطل زمن الحب وفقدت العائلة عظمتها الادبية وسعادتها الحقيقية لان المساواة رباط متين يربط الزوجين زمن الحياة ناهيك انهُ بفقدان المساواة تشعر المرأَة بضعفها الحقيقي وانها اصبحت عبدة للقوي فتهمل واجباتها الادبية وفي اهمال تلك الواجبات يفقد الرجل شريكاً صدوقاً ومعيناً ودوداً تخفف بهِ اكدار الحياة ومصائب الايام

ومن احسن واجبات الرجل ايضاً تربية الاولاد واجبات فرضتها الشرائع الدينية والادبية على الرجل والمرأَة معاً من يوم يكون الولد جنيناً ثمَّ طفلاً في الوجود حتى يشتد ساعدهُ ويصير كفوءًا لمهام الحياة وللاعتماد على نفسهِ وليس واجبات الوالد نحو الولد واقفة عند حد الغذاء وسد حاجة البدن وانما يطلب منهُ تهذيب النفس وانماء القوى العاقلة فيهِ لينشأَ مفيداً لنفسهِ نافعاً للمجتمع . قال مونتسكيو انهُ يُطلب من الاب تغذية ولدهِ وتهذيبهُ ولا يطلب منهُ ان يترك لهُ ارثاً . وقال كثيرون من اغنياء هذا القطر ان تركهم الاموال لاولادهم بليَّة على الاولاد وغاية ما يحتاج الولد اليهِ ان يربَّى ويهذَّب وتغرس في نفسهِ الفضائل وملكة حب العمل ومعرفة قيمة المال

احد القراء

ثلاث فوائد طبية منزلية

نقيع الشعير يسكن الم المعدة ويسهل الهضم

من المتعارف ان المشروبات السخنة تفيد في كثير من امراض المعدة بتسكين الالم وتنبيه الحركة واكثر هذه المشروبات شيوعاً لهذه الغاية الشاي والبابونج وما مثلهما على ان نقيع الشعير يفضلهما بكثير ولا ضرر من استعمالهِ والعامة تجهل فائدتهُ هذه وتجهل ايضاً كيفية تحضيرهِ فالشائع من قديم الزمان ان مغلي الشعير مشروب مبرد ومدر للبول وكيفية تحضيرهِ ان يغلى الشعير في الماء حتى يتفتح فبهذه الطريقة تنحل المواد السكرية وتذوب في الغلاية ولكنها تقلل نفعهُ بتحويل المواد النشائية الى سكر فاذا حُضّر على طريقةٍ لا تحول المواد النشائية الى سكر حصل منهُ مشروب غاية في الافادة. وطريقة ذلك ان ينبت الشعير وتؤخذ كمية من هذا النابت وتطحن في مطحنة قهوة وتوضع في مرشحة القهوة مصرورة في قطعة فلانلا ويسكب عليها ماء قريب من الغليان فالماء يخسر جزءا من حرارتهِ قبل وصولهِ الى دقيق الشعير بملامستهِ للفلانلا ويصل اليهِ بحرارة ٨٠° تقريباً . فاذا شرب هذا المشروب السخن مع الطعام او بعدهُ محلًّى مثل سائر المشروبات زادت فائدتهُ عنها بتحويلهِ المواد النشائية الى مواد سكرية فيسهل بذلك الهضم المتعسر من هذا القبيل اي يسهل هضم الاطعمة النباتية

الاثمار في القبض المستعصي

كثيرًا ما يكون القبض مستعصياً ويضطر صاحبهُ الى تجرع المساهل بكثرةٍ فتضعف بذلك معدتهُ وتعتاد على البلادة في عملها الافرازي . فمن كان كذلك يوافقهُ ان يأكل كل صباح على الفراغ بعض الاثمار وافضلها التفاح فتنطلق معدتهُ بدون حاجة الى العقاقير الدوائية وقد جربت ذلك كثيرًا في من شاهدتهُ من المرضى فكان النجاح غالباً ولم يخب الاَّ نادرًا

رمد المدخنين

رأيت ان جانباً كبيرًا من التهاب الملتحمة والجفون مسبب عن فعل الدخان المهيج في العين وتحققت ايضاً ان ذلك من الاسباب الرئيسة عند الفلاحين . ويداوى هذا الالتهاب بالامتناع عن الدخان واذا لم يمكن فبتقليلهِ ما امكن ثم بغسل العين بالماء السخن الذي اذيب فيهِ قليل من الحامض البوريك وتكميد الجفون بهِ . ولا حاجة للتنبيه بوجوب مراعاة النظافة لان ذلك صار معروفاً عند العموم ولكن مما يجب ذكرهُ والانتباه اليهِ بنوع خصوصي هو ان

من سوء عادة المدخنين ان يفركوا اعينهم باصابعهم فيلقحونها بمكروبات مختلفة وتحصل لهم التهابات حادة تزيد حالتهم خطارةً لان رمدهم الاصلي بطيء السير ومزعج اكثر مما هو مخطر فبعدم انتباههم الى ما ذكر يعرضون نظرهم الى خطر شديد

الدكتور
امين ابو خاطر

الروائح العطرية

الروائح العطرية كثيرة الانواع ولا يستطيب كل احد رائحة منها فيحسن بالمرأة ان تختار رائحة واحدة تستعملها دائماً كرائحة الورد او الزنبق او البنفسج او النرجس او نحو ذلك وتستعمل نقطاً قليلة جدًّا منها نقطة او نقطتين كل يوم ولا تعتمد في ذلك على شمها لانهُ لا يمضي عليها ايام كثيرة حتى يضعف شمها لتلك الرائحة فلا تؤَثر فيها عشر نقط قدر ما كان يؤَثر فيها نقطة او نقطتان قبلاً ولكنها اذا استعملت عشر نقط عبقت منها رائحة شديدة تتعب الذين حولها وهي لا تدري لان كثيرين يصيبهم صداع من شمهم الرائحة الشديدة . وقد استنبط بعضهم طريقة لجعل رائحة الثياب عطريَّة من غير ان يصبَّ عطر عليها وذلك بان تلصق بخزانة الثياب من الداخل قطع من الجلد مغموسة في السائل العطري فتطير المادة العطريَّة منها رويدًا رويدًا وتعطر الثياب كلها وتكون رائحتها خفيفة مقبولة

تهوية غرف النوم

يقوم الانسان من فراشهِ في الصباح ويخرج من غرفتهِ التي كان نائماً فيها ويقف على سطح او بلكون بضع دقائق ثم يعود الى غرفتهِ فيشم منها رائحة خبيثة وهذه الرائحة التي صار يشمها الآن بعد ان شمَّ الهواء النقي خارجاً ولم يكن يشمها قبلاً لاعتياد شمهِ عليها كانت في الغرفة وهو نائم فيها ولم يكن يشمُّ غيرها اي ان هواء الغرفة كان فاسدًا اكثر الليل وهو لا يتنفس سواهُ

ولا سبيل لبقاء الهواء نقياً في غرف النوم الاَّ اذا كان فيها فتحتان على الاقل يدخل الهواء النقي من واحدة منها ويخرج الهواء الفاسد من الاخرى وهذا يقتضي ان تكون احدى الفتحتين واطئة واصلة الى ارض الغرفة والفتحة الثانية عالية واصلة الى سقفها فاذا فتح في غرفة النوم كوًى صغيرة قرب السقف وترك بابها مفتوحاً وكان امامهُ دار مفتوحة ايضاً دخل الهواء النقي من الباب وخرج الهواء الفاسد من الكوى العالية . ولا ضرر من ذلك لا صيفاً ولا

شتاء اذا وُضع السرير بحيث لا يقع عليهِ مجرى الهواء الداخل او اذا وضع حاجز امام الباب يكسّر مجرى الهواء ويفرّقهُ . والذين يعتادون النوم وابواب غرفهم وشبابيكها مفتوحة صيفاً وشتاء لا يشعرون بالبرد ولا تضرُّهم مجاري الهواء بل يتمتعون بالصحَّة دائمًا الاَّ ان اعتياد ذلك يجب ان يكون تدريجًا لا دفعةً واحدة

ثم ان مجاري الهواء تضرُّ من لم يعتدها جسمهُ اذا كانت شديدة واما اذا كانت دقيقة لطيفة فلا تضرُّ احدًا مثال ذلك ان الذين يقضون فصل الصيف في رأس البر ينامون في عشش من الحلفا يدخلها الهواء من كل ناحية ومع ذلك لا يشعرون باقل تعب من مجاري الهواء لانهُ يمر من بين عيدان الحلفا واوراقها بمجارٍ دقيقة متكسرة وهو مثل النور من هذا القبيل فان الاشعة الساطعة منهُ تتعب العيون التي لم تعتدها واما الاشعة المستطيرة المتكسرة فلا تتعب العين ابدًا

وممَّا يجب الانتباه لهُ ان كل ما يلصق بهِ الوسخ كالجوارب والجزم والثياب الوسخة يجب ان لا يوضع منها شيء في غرفة النوم لان دقائق الوسخ تتطاير منها وتفسد هواء الغرفة حين لا بدَّ من ان يكون هواؤها على انقاهُ

ادارة البيت

اثبتنا في الجزء الثالث من هذه السنة كلامًا مسهبًا في هذا الموضوع في باب تدبير المنزل ووعدنا باستئناف الكلام فيهِ . وغنيٌّ عن البيان ان الكلام على ادارة البيت هو الغرض الاهم من باب تدبير المنزل كما انهُ الامر الاهم في حياة الامم

وقد يظن البعض انهُ ما دام في البيت ما يكفي سكانهُ من طعام وشراب وكساء فقد تمَّت الغاية المقصودة ولكن هذا غير صحيح لان ليس بالخبز وحدهُ يحيا الانسان ولا بدَّ لحياة اهل البيت الادبيَّة من امور ادبيَّة تغذي نفوسهم وتسرُّها . وكثيرًا ما تخور عزائم الزوجة لانها لا تجد من زوجها واولادها كلامًا منعشًا يطيب قلبها ولا نظرات الحب والانعطاف وما يقال عن الزوجة يقال عن الزوج ايضًا لان اتعابهُ اكثر من اتعابها وهو محتاج الى التعزية والتنشيط مثلها

والبيت المكان الوحيد الذي تظهر فيهِ اخلاق المرء من غير تكلُّف لانهُ لا يُنتظر ان يتظاهر فيهِ بما ليس من طبعهِ . ولكن يحدث احيانًا كثيرة ان يكون الانسان لطيفًا ودودًا في كل البيوت غير بيتهِ . تراهُ في بيوت الجيران بشوشًا انيس المحضر واما في بيتهِ فيعبس

ويقطب وجههُ ويظهر شكاسة الاخلاق. رجل مثل هذا يزيد عيشهُ وعيش زوجتهِ نغصاً على نغص كل يوم وخير لهُ لو لم يتزوج . وادارة البيت منوطة بالزوجة غالباً وهي ان قامت بذلك حق القيام اظهرت لزوجها انها قامت بقسطها من الواجبات البيتية وسواءٌ كانت وحدها او كان عندها خدم وهي تديرهم وتدربهم واما الزوجة التي تترك ادارة بيتها لخدمها فكالرجل الذي يترك ادارة اعمالهِ لخدمهِ

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان.
ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في
الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما
الغرض من المناظرة التوصلُ الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم
(٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

التعليم بالعربية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

رأيتكم في ما كتبتم عن التعليم في القطر المصري تفضلّون ان تعلَّم العلوم باللغة العربية ولو آل ذلك الى اضعاف اللغات الاجنبية والظاهر ان هذا مذهب كل الكتَّاب الذين كتبوا في هذا الموضوع على ما ظهر لي من مطالعة الجرائد المصرية التي صدرت في الشهرين الماضيين. ولو كنت من الذين يودون ان يبقى العلم ضعيفاً في هذا القطر ويبقى اهلهُ جاهلين للغة المحتلين وما يُنشر فيها لرحَّبتُ بهذه النهضة الجديدة وبذلت الجهد في تعضيدها لانها تأْتي بالغاية المطلوبة من كل وجه . ولا بدَّ لهذا الكلام المجمل من تفصيل فاسمحوا لي بهِ ولو شغل صفحتين او اكثر من المقتطف لان الموضوع هامٌ جدًّا تتوقَّف عليهِ مصلحة الامة

لا يخفى ان العلوم التي تعلَّم الآن باللغة الانكليزيَّة هي العلوم العالية التي لا يحتاج ان يتعلمها احد من العاملين في الزراعة او الصنائع العادية المعروفة في هذا القطر ولا تتعلمها امرأَة ولا بنت . هذه العلوم هي علم الطب بفروعهِ المختلفة التشريح والفسيولوجيا والباثولوجيا

والهستولوجيا والبكتير يولوجيا وغيرذلك من الفروع الكثيرة وهذه لا يتعلمها احد غير الاطباء فسواء نشرت كتبها بالعربيَّة او التركية او الفارسيَّة او الهندية او الانكليزيَّة او الفرنسويَّة لا يقرأها احد من كل الفلاحين ونسائهم واولادهم ولا من كل السكافين والنجارين والبنائين والبرَّادين والجنود والخفراء والعمد والمشايخ ولا ينتظر ان يلتفت اليها احد من القضاة والمحامين والمهندسين . ولا نخطئ اذا قلنا ان فائدتها تكون محصورة في المئتي طبيب او الخمس مئة طبيب او حواليهم الموجودين في هذا القطر وهؤلاء يجب ان يعرفوا لغة اجنبية كما لا يخفى انكليزيَّة او فرنسويَّة او المانية فتعليم العلوم الطبيَّة باللغة العربيَّة او باللغة الانكليزيَّة لا يؤثر باحد غير الاطباء وطالبي علم الطب . وقس على ذلك العلوم الهندسية والعلوم القانونية فان العلوم الهندسية تؤثر في المهندسين دون سواهم والعلوم القانونية تؤثر في القضاة والمحامين ولا يستثنى من ذلك الاَّ اشياء قليلة يمكن كتابتها بصور بسيطة لفائدة الجمهور كبعض النصائح والفوائد الطبية المنزلية وبعض الارشادات والقوانين التي تدخل في المعاملات العمومية ويحسن بكل احد ان يعلمها ولا يعسر وضع كتب فيها لفائدة الجمهور

هذا من حيث التعليم العالي . نأتي الآن الى العلوم التي تعلم في المدارس الثانوية كالكيمياء والجبر والهندسة وعلم النبات والحيوان وما اشبه . وهذه العلوم كلها خصوصيَّة لا يهتم بها الاَّ الذين يستعدون لتعلم العلوم العالية والذين يستعدون للمناصب العالية او للتعليم لانهُ ماذا يهم الزارع ان كان الكلب من فصيلة الذئب او من فصيلة اخرى وان كان القمح تنوُّعًا من الزمير او نوعًا قائمًا برأسهِ وان كانت الزاوية الخارجة من المثلث تعدل الداخلتين المتقابلتين او لا تعدلهما . ولقد شاهدت الفلاحين الناجحين في انكلترا وفرنسا وايطاليا وسويسرا لا يعلمون شيئًا من مبادىء الجبر والهندسة والكيمياء والنبات والحيوان مع ان هذه العلوم كلها تعلَّم في بلدانهم بلغاتهم منذ مئات من السنين بل رأيتهم يصدقون بالخرافات اكثر من فلاحي مصر لان هذه العلوم تكون محصورة في القليلين الذين يتعلمونها وهم لا يبلغون جزءا من مئة من السكان فسواء تعلموا العلوم بلغة بلادهم او بلغة غيرها لم يؤثر ذلك اقل تأثير في احوال الجمهور الاكبر من الاهالي والذي يؤثر في حالة الاهالي اي في حالة البلاد الاجتماعية هو التعليم الابتدائي في الكتاتيب والمدارس الابتدائية حيث تعلم القراءة والكتابة والحساب والجغرافية والتاريخ ومبادئ العلوم الطبيعيَّة فهذه المدارس يجب ان يكون التعليم فيها بلغة البلاد حتمًا

واذا فرضنا عدد سكان بلاد عشرة ملايين نفس وفرضنا ان القراءة والكتابة والتعليم

بنوع عام شائعة فيها كما هي شائعة الآن في الولايات المتحدة الاميركية وفي انكلترا وفرنسا اي في اكثر البلدان ارتقاء فيكون عدد الذين يتعلمون في الكتاتيب والمدارس الابتدائية حيث تعلم القراءة والكتابة والحساب والجغرافية ومبادئ العلوم الطبيعية مليونين وعدد الذين يتعلمون في المدارس الثانوية حيث يعلم الجبر والهندسة والمثلثات والكيمياء والنبات والحيوان والعلوم الطبيعيَّة على انواعها سبعين الفًا · وعددهم في المدارس العالية حيث يعلم الطب والحقوق والهندسة العملية عشرة آلاف او كما ترى في هذا الجدول

في الكتاتيب والمدارس الابتدائية	٢٠٠٠٠٠٠
في المدارس الثانوية والصناعية	٠٠٧٠٠٠٠
في المدارس العالية	٠٠١٠٠٠٠

اي من كل الف ولد يدخل الكتاتيب لا يصل الى المدارس الثانوية والصناعية سوى ٣٥ ولدًا ولا يصل من هؤُلاء الى المدارس العالية سوى خمسة اولاد فكل الذين يدخلون المدارس الثانوية والعالية اربعون في الالف من التلامذة او اقل من واحد في المئة من السكان · هذا اذا بلغت البلاد ارقى ما يمكن البلوغ اليهِ اما في الحالة الحاضرة فعدد الذين يتعلمون العلوم العالية والثانوية في هذا القطر في مدارس الحكومة وغيرها لا يبلغ الفين اي واحدًا من كل خمسة آلاف نفس من السكان ولا مشاحة ان لهم شأنًا كبيرًا في ارتقاء البلاد ولكن العبرة بعلمهم وعملهم لا بكونهم حصلوا العلم باللغة العربية او بلغة اجنبية · نعم لو تساوت بقية ملابسات هذه المسألة لفضلنا تعليمهم بلغة بلادهم ولكن اذا كان في المسألة شؤُون اخرى تجب مراعاتها وجب حينئذٍ ان ينظر في هذه الشؤُون واهميتها · ومن هذه الشؤُون

اولاً وجوب اتقان لغة اجنبية من اللغات الثلاث المشهورة الآن وهي الانكليزية والفرنسوية والالمانية لمطالعة الكتب العلمية والمجلات العلمية بها والجري مع العلم في ارتقائهِ

ثانيًا وجوب معرفة المصطلحات العلمية بلغة اجنبيَّة حتى يسهل فهم الكتب والجرائد العلمية بها

ثالثًا اننا اذا جعلنا تعليم هذه العلوم باللغة العربية اضطررنا الى ترجمة الكتب العلمية وقبل ان نتم ترجمتها وطبعها نرى كتبًا كثيرة منها قد قدُمت وصار علينا ان نترجم غيرها فنبقى مقصّرين عن العلم تقصيرًا كبيرًا

رابعًا ليس عندنا العدد الكافي من الاساتذة الاكفاء ولا غنى لنا الآن عن استحضار الاساتذة من اوربا لا لان الذين يتعلمون منا لا يصلحون للتعليم بل لاننا نحتاج اليهم في مصالح واعمال اهم من التعليم وان لم تكن اهم فهم يفضلونها على التعليم فالعالم بعلم الحقوق الذي

يصلح ان يكون استاذًا لهُ يفضل ان يكون ناظرًا للحقانية او وكيلاً لها او مديرًا لديوان الاوقاف او مديرًا في احدى المديريات على ان يكون استاذًا في مدرسة الحقوق . والطبيب الماهر الذي يصلح ان يكون استاذًا لعلم الطب يفضل ان يمارس صناعتهُ ويكتسب منها الفي جنيه في السنة على ان ينقطع لتدريس فرع من فروع الطب في المدرسة الطبية

ثم ان الرغبة في البحث العلمي قليلة جدًّا عندنا وقلَّ من يرغب منا في العلم ومعهُ الفاقة اذ استطاع ان يجد عملاً آخر اربح لهُ من التعليم او من الاشتغال بالمباحث العلميَّة . نعم متى كثر عدد المتعلمين وامتلأَت منهم المناصب العالية ذات الريع الوافر يضطر الباقون ان يقبلوا باجور قليلة ولو كانوا من النابغين كما يقبل العالم الاميركي بخمسة آلاف ريال في السنة وتلميذهُ الذي صار تاجرًا او مدير بنك يكسب مئة الف ريال

فهذه الامور كلها تجعل التعليم العالي والثانوي بلغة اجنبيَّة اسهل مما هو باللغة العربيَّة وذلك من حيث الاساتذة وكتب التعليم اما التلامذة فلا فرق عندهم على ما يظهر سواءٌ تلقوا العلوم بالعربيَّة او بلغة اجنبية اذا كانوا قد تعلموا تلك اللغة تعلمًا كافيًا كما صرحتم بذلك وكما هو مشاهد من التلامذة المصريين الذين يتعلمون في اوربا ثم هم يستفيدون التمكن من اللغة الاجنبيَّة ومن المصطلحات العلمية ولا ضرر على البلاد بوجه من الوجوه كما تقدم

الاَّ ان هؤُلاء التلامذة يجب ان لا يعفوا من درس اللغة العربية والتمرُّن على الانشاء فيها حتى يسهل عليهم نشر معلوماتهم بها . والتمرُّن عليها لا يأْتي من درس كتب الطب والهندسة والحقوق بها بل من درس كتبها الادبية اما درس الكتب العلميَّة فقد يضر بصناعة الانشاء وان لم يضر فليس منهُ نفع يذكر

هذا ما اردت بيانهُ واني مستعد ان اناظر كل من يناظرني في هذا الموضوع وليس غرضي الاَّ اظهار الحقيقة ولذلك امضي اسمي

مظهر حقيقة

احصاء سكان العاصمة

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قرأت ما كتبتموهُ في الجزء الماضي عن عدد سكان العاصمة بحسب الاحصاء الاخير وهم بحسبهِ ٦٥١٩٤٢ نفسًا ورأيتكم استغربتم زيادة عدد الذكور على عدد الاناث زيادة غير عادية واستغربتم ايضًا كيف لم يزد عدد السكان في السنوات الاخيرة على نسبة زيادتهم

في العشر السنوات التي قبلها . ولم تشيروا الى وجهين آخرين من وجوه الاستغراب الاول ان عدد سكان العاصمة بلغ بموجب تقرير مصلحة الصحة ٦٥١٦٥٦ وذلك حتى اول يوليو سنة ١٩٠٥ اي نحو ما بلغوهُ الآن في الاحصاء الاخير فكأَن عددهم لم يزد في السنتين الاخيرتين مع ان الزيادة السنوية على حسب تقرير الصحة عشرة آلاف نفس على الاقل وعليهِ فالاحصاء الاخير ينقص نحو عشرين الفاً عما يجب ان يكون بموجب احصاء مصلحة الصحة . ولا يخفى ان مصلحة الصحة تعتمد على احصاء المواليد والوفيات فتطرح عدد الوفيات من عدد المواليد وما بقي فهو الزيادة السنوية ولا محل للظن ان الناس يزيدون عدد مواليدهم او ينقصون عدد وفياتهم بل اذا تلاعبوا في شيء من ذلك فيكون انهم ينقصون عدد المواليد اهمالاً او لمصلحة لهم ولكن يستحيل عليهم ان يدفنوا ميتاً من غير ان تعلم مصلحة الصحة بهِ ولذلك فالزيادة في عدد المواليد على الوفيات صحيحة او هي دون الصحيح

والوجه الثاني من وجوه الاستغراب ان ارقام مصلحة الصحة لسنة ١٩٠٥ وارقام قلم الاحصاء لسنة ١٩٠٧ تكاد تكون واحدة الاولى ٦٥١٦٩٦ والثانية ٦٥١٩٤٢ فقد تساوت في الارقام الثلاثة الاخيرة الالوف وعشرات الالوف ومئات الالوف وكادت تتساوى ايضاً في المئات لان رقم ٩ ورقم ٦ كثيراً ما يتشابهان بالعربيَّة والافرنجية فان كان ذلك قد حدث اتفاقاً فهو غريب جدًّا وان كان عمال مصلحة الاحصاء يجهلون قاعدة الجمع كما قالت الغازت فهل يحتمل انهم اطَّلعوا على احصاء مصلحة الصحة لسنة ١٩٠٥ فاعتمدوهُ حاسبين انهُ لسنة ١٩٠٧ . هذا الاحتمال بعيد جدًّا لا يكاد يكون واحداً في الالف ولكن اتفاق ثلاثة ارقام من ستة وكل رقم منها واحد من تسعة لايقع مرةً في المليون

اما مبالغة بعض الكتَّاب في ما يظنونهُ من عدد السكان فبعيدة عن الصواب لان احصاء مصلحة الصحة يجب ان يكون صحيحاً او قريباً جدًّا من الصحة ويمكن تعليل اختلافهِ مع احصاء قلم الاحصاء بان مصلحة الصحة لاتعلم عدد الذين هاجروا ولا يخفى ان كثيرين من سكان العاصمة هجروها اخيراً بسبب غلاء البيوت فيها وغلاء المعيشة بنوع عام وسكنوا في خط المطرية وهي من القليوبية لا من مصر وفي امبابه والجيزة وهما من مديرية الجيزة بل بلغنا ان البعض سكنوا قليوب وبنها مع ان اشغالهم في مصر تخلصاً من غلاء المعيشة فيها فان كان عدد كل هؤلاء يزيد على عدد المهاجرين الى مصر فقد ظهر سبب بعض الفرق بين عدد مصلحة الصحة وعدد قلم الاحصاء

احمد امين

الضيق المالي

حضرة منشئ المقتطف

ذكرتم في الجزء الثالث من هذه السنة الصادر في شهر مارس الماضي ان الاموال التي ربحها القطر المصري في العام الماضي تزيد على الاموال التي دفعها ثمن صادراتهِ وفائدة دينهِ ودين الحكومة نحو مليون ونصف من الجنيهات " وان الضيقة المالية الحاضرة سببها الاكبر ان اصحاب الاطيان والاملاك اضطروا ان يوفوا القسط السنوي المطلوب منهم فوق ربا دينهم وهذا القسط يبلغ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات فاستغرق كل النقود التي فاضت لهم وزاد عليها " . هذا ما كتبتموهُ ونشرتموهُ منذ اكثر من ثلاثة اشهر . وقد اشتدَّت الضيقة المالية بعد ذلك حتى يخال للرائي انهُ لم تبقَ نقود في القطر لا عند الاهالي ولا عند البنوك ولكن حقيقة الامر ليس كذلك لان كبار المزارعين الذين باعوا مواسمهم وربحوا الوفًا كثيرة فوق نفقاتهم العادية لا تزال الاموال في صناديقهم . والملاَّك الذين باعوا اطيانهم للبناء في جوار العاصمة وقبضوا ثمنها مئات الالوف من الجنيهات لا تزال اموالهم مودعة في البنوك ينتظرون ان يشتروا الاطيان بها . فليست الضيقة المالية ناشئة عن قلة الذهب في البلاد ولكن سببها ان المضاربين بالاسهم وباراضي البناء اشتروا باثمان عالية جدًّا باغراء السماسرة ودفعوا قليلاً من الثمن ثم لما لم يجدوا من يشتري منهم لان الاثمان فاقت حدها كثيرًا ولا امكنهم ان يدفعوا بقية الثمن اضطروا ان يبيعوا والبيع يهبط الاسعار كثيرًا فخسروا واضطروا ان يستدينوا ليسدوا العجز ولم تتساهل البنوك معهم فظهرت الضيقة المالية وبالغ الناس في الكلام عنها لان اصحاب البنوك الصغيرة يروّجون اخبار الضيق المالي ويبالغون فيها لكي يرتعب الناس ويصيروا يدفعون لهم الفوائد الفاحشة وهذا هو الجاري الآن . وقد بلغتني اخبار كثيرة عن بعض كبار التجار والمتمولين قيل فيها انهم طلبوا ان يستدينوا من بعض البنوك فلم تدينهم فاستغربت ذلك وسأَلت وبحثت فوجدت تلك الاخبار كاذبة لا صحة لها وسأَلت بعض مديري البنوك عن سبب تصعُّبهم في التديين فاجابوني انهم لا يتصعبون الَّا مع المضاربين الذين بضاعتهم اسهم لا قيمة لها او تهبط قيمتها خمسين في المئة في اليوم الواحد اما الذي يضع عندهم سندات او اسهمًا مأمونة او هو معروف عندهم بحسن المعاملة فانهم يدونهُ بالمال حالاً

وقد ذهبت بالامس الى بيت احد الوطنيين اكلمهُ في مشترى ملك يساوي نحو خمسين

الف جنيه فاكَّد لي انهُ يدفع الثمن نقدًا واشار الى خزانة حديد امامهُ وقال اني ادفعهُ كلهُ ذهبًا من هذه الخزانة. وهذا شأْن كثيرين غيرهُ من الاغنياء

وزبدة المقال ان الذهب غير قليل في القطر ولكنهُ متجمع عند الاغنياء من الوطنيين والاجانب ولم يشعر بالضيقة الاَّ المضاربون والذين لم يعتادوا ان يخزنوا الاموال في خزائنهم

ن . ك

* * *

باب الزراعة

نخل العراق

اطلعنا على مقالة في هذا الموضوع في مجلة المشرق لحضرة يوسف افندي غنيمه البغدادي احد تجار بغداد فرأينا ان نقتطف منها الفوائد التالية

قال الكاتب ان غرس النخل في سهول بابل قديم العهد جدًّا فقد ذكر هيرودوتس ان تلك السهول كانت "مكسوة بشجر النخل اكثرها مثمر فيا كلون بعضها و يستقطرون من بعضها الآخر خمرًا وعسلاً وغرسهُ مثل غرس شجر التين في بلادنا ويلقحون الانثى من تمر النخل الذكر فيدخل البعوض البلحة وتنضج ولا تعود تسقط على مثال التين البري" (١)

ومن زار البلاد العراقية الآن يشاهد عن بعد شاسع اراضي واسعة الاطراف بعيدة الاكناف ينتصب فيها عدد لا يحصى من النخل وبالحقيقة ان منظر النخل على ضفاف دجلة منظر فتان من اجمل مناظر الطبيعة

ولزرع النخل طريقتان الاولى زرع النواة غير ان هذه الطريقة ليست مستحسنة اذ لا تنبت الأ نخل الفحل الذي لا يجيء منهُ سوى اللقاح او تنبت نخل الدكل الذي يثمر تمرًا من شكل دني قليل الحلاوة . اما الطريقة الثانية فبأن تقلع الفراخ التي تنبت حول امها وتغرس وهي التي يعمل بها اليوم في بغداد والبصرة وضواحيهما ويباع الفرخ الواحد بغرشين الى ثلاثة

---

(١) [المقتطف] عبارة هيرودوتس تدل على انهم كانوا يربطون طلع الذكر بطلع الانثى وقد اخطأ هيرودوتس في نسبتهِ التلقيح الى البعوض كما في التين واول من نبه الى خطائهِ ثيوفراستس . اما الكلمة التي ترجمت هنا بكلمة غرس فمعناها زراعة اي كل ما يتناول الزرع وخدمة المزروعات على ما في ترجمة رولنصن

غروش . واشهر وقت لزرع النخل الربيع وقد يزرع في الخريف وغيره من الفصول لكن ذلك نادر لا يحفل بهِ . ولإتقان زرع النخل شروط اذكر اهمها نقلاً عن مقالة مطبوعة في آخر كتاب مطالع السعود في تاريخ الوزير داود وقد طبقتها على كيفية العمل عندنا اليوم فرأيتها لا تختلف في شيء ابدًا

الشرط الاول انهم يحفرون حفرة مقدار متر في متر ثم يردمون ثلثيها بترابها ويتركون الثلث الباقي حفرة وهناك يغرسون الفسيلة ثم يسقونها كل يوم بماء قليل مدة ستين يومًا الى ان يتراءى لهم ان الفسيلة قد نبتت ونبت لها عروق جديدة في الارض ورمت سعيفات جديدة فحينئذٍ يزيدون الردم عليها مقدار عشرة سنتيمترات ولا يزالون كلما زادت سعفًا جديدًا وعلت يردمون حولها ترابًا جديدًا الى ان يتحقق لديهم انها قويت وثبتت وكثرت سعفها فحينئذٍ لا بأس من ان تسقى الماء بكثرة حيث يؤْمن عليها من ضرر الغرَق

الشرط الثاني انك تجعل ما بين كل نخلة واخرى عشرة امتار على الاقل . وهذه المسافة هي ضعف المسافة التي يجعلونها في بغداد بين نخلة ونخلة . وبين النخل في الارض الخالية تزرع الاشجار المثمرة كالليمون والبرتقال والنارنج والبقول وغيرها

وكيفيَّة سقي النخل في بغداد كانت اولاً بواسطة الكرود فقط اما اليوم فقد تحسنت نوعًا وشرع الزارعون يستعملون النواعير (السواقي) الخشبيَّة والحديدية والطلمبات التي تتحرك بالبخار والغاز البترولي وفي البصرة يسقون الاراضي بواسطة المد والجزر فاذا علا الماء في وقت المد يتدفَّق في غيطان النخل بدون نصَب ولا تعب

والنخل في بدء غرسهِ يلزم لهُ كميات وافرة من الماء لريهِ اما اذا اشتدَّ ازرهُ وكبر صبر على العطش اكثر من جميع اشجار العراق وصنو البصرة اسرع بنشوئهِ من تال بغداد وربما حمل تمرًا بعد سنتين او ثلاث سنين من غرسهِ وقد شاهدت نخلاً اثناء رحلتي اليها سنة ١٨٩٣ يمكن الانسان قطف تمرهِ وهو جالس على الارض اما سائر التال فيغلُّ في السنة السابعة او الثامنة من غرسهِ

والنخل يمدُّ عروقهُ في الارض الى مسافة بعيدة ويعلو مرتفعًا كل سنة نحو ٣٠ سنتيمترًا ويبلغ علوهُ سبعة امتار الى عشرة ويعمر سبعين او ثمانين سنة . وفي شهر شباط (فبراير) يقطع السعف البالغ وبعض الكرب ويبلغ طول السعفة مترين . ويظهر الطلع في منتصف اذار (مارس) او في اواخرهِ وبعد نحو عشرين يومًا ينفتح الغلاف ويخرج العنقود وحينئذٍ يحين زمن التلقيح فيصعد الملقح على النخلة ومعهُ اللقاح فيجرد الغلاف تمامًا عن الطلع وينثر على كل

عذق قليلاً من اللقاح . والنخلة تحمل ١٣ الى ١٤ عذقاً (سباطة) الاَّ ان اصحاب الاملاك اذا رأَوا كمّيَّة الحمل تتجاوز ثمانية اعذاق او عشرة قطعوا البقية تحسيناً لنوع التمر وخشيةً من انهاك النخل . ويتمُّ نضج التمر في اواخر آب (اغسطس) ويباع حينئذٍ وثمنهُ بخس

واجود انواع التمر المتداولة على افواه البغاددة الخستاوي وهو احسنها ثم المكتوم وبعدهُ الزهري وهذا الجنس الاخير يأْكلهُ الفعلة لرخصهِ ويدعونهُ مسمار الركب ويشحن الى سوريا ومصر. ومن انواع التمر البداربة والاشرسي وهما يقطعان في اوان نضجهما ويحفظان مؤُونة للشتاء . والخضراوي والحلاوي والسائر وهي من اشهر تمر البصرة وتوسق الى اوربا واميركا وسوريا والهند وسواحل خليج فارس مثل بوشهر والكويت ومسقط والبحرين وطنجة في صناديق وزن الصندوق منها ٦٥ ليبرة الى ٧٠ ويقدر عدد صناديق التمر التي ترسل من البصرة كل سنة بثلاثة ملايين الى ثلاثة ملايين ونصف

واسهب الكاتب في فوائد النخل وتمرهِ وما يستخرج منهُ وذكر مما يستخرج منهُ في بغداد عصيرًا سماهُ السقر او السيلان ولا نعلم هل السقر اسمهُ هناك او هو الكلمة العربية التي معناها الدبس وقال ان ربات البيوت يستخرجنهُ باغلاء التمر. وانهُ يستخرج منهُ ايضاً نوع من العرق فيهِ نحو ٢٥ الى ٢٧ في المئة من الالكحول ويباع اللتر منهُ بخمسة غروش وان في بغداد خمس عشرة خمارة لاستقطارهِ وجميعها تخص اليهود وتستخرج في السنة نصف مليون لتر من العرق . انتهى مقتطفاً

وقد ذكرنا في الجزء الثاني من هذه السنة صفحة ١٥٠ ان اكثر التمر يصدر الآن من البصرة فيبلغ ثمن ما يصدر منها سنويًّا ٣١٣٠٠٠ جنيه ويصدر من تونس اكثر من ٣٠٠٠٠٠ قنطار ومن جدة ٦١٠٠٠ قنطار ومن الحديدة ٤٠٠٠٠ قنطار ومن بربرة ٩٨٠٠٠ قنطار ومن البحرين ٧٧٠٠٠ قنطار ومن بندر عباس ١٩٠٠٠ ومن المحمَّرة ٧٩٠٠٠

القطن وحال البلاد

بلغ الوارد من القطن المصري الى الاسكندرية حتى السابع من شهر يونيو ٦٨٥١٩٤٢ قنطارًا ولذلك ترجح الآن ان الموسم الماضي يبلغ اكثر من سبعة ملايين قنطار . ولا شبهة في ان متوسط الثمن الذي بيعت بهِ لا يقلُّ عن ٤٥٠ غرشاً القنطار مع بزرتهِ فثمن الموسم الماضي اذًا بين ٣١ و٣٢ مليون جنيه . وسعر القطن الآن يزيد على سعرهِ في العام الماضي في مثل هذا الوقت اكثر من ثلاثة ريالات القنطار فاذا بقيت النسبة على ما هي عليهِ الآن

او اذا بيع الموسم التالي كما بيع الموسم الماضي تماماً وجاء مقدارهُ مساوياً لمقدار الموسم الماضي بلغ ثمنهُ نحو ٣٢ مليوناً من الجنيهات فيوفى منهُ ثمن الواردات كلها وفائدة دين الحكومة ودين الاهالي ويزيد نحو مليوني جنيه ولذلك لا تعذر البنوك اذا خافت سوء المصير وشددت على الناس هذا التشديد حتى جعلتهم يدفعون لها الربا الفاحش ويليق باهالي القطر عموماً واهل الزراعة خصوصاً ان يقتصدوا في نفقاتهم كل الاقتصاد وهذا واجب عليهم الآن في الحالة الحاضرة حتى تقل نفقاتهم ما امكن وتبقى مقصورة على الضروريات فانهم اذا فعلوا ذلك وفَّروا مليوناً من الجنيهات على الاقل

الكهربائية في الزراعة

كتب الاستاذ بارد في رسالة أُرسلت الى قسم الزراعة من جمعية الفنون بجنيفا ان الكهربائية مفيدة جدًّا في قتل الفيلكسرا التي تضرب كروم العنب وانها تقوي نمو الكروم جدًّا . وذلك بان توضع في الارض موصلات معدنية تصل الى الجذور على عمق ستين سنتمترًا واحد الموصلات يتصل بقضيب مرتفع مثل قضبان الصاعقة ارتفاعهُ نحو عشرين مترًا حتى يتناول كهربائية الجو والآخر يتصل بصفيحة من النحاس . وقد جرب ذلك اولاً في كرمة مصابة بالفيلكسرا فمات اكثر حشراتها في الفصل الاول ولما انتهى الفصل الثاني لم تبقَ منها حشرة حيَّة . وزاد على ذلك ان الكروم التي عولجت على هذه الكيفيَّة نمت اكثر من الكروم التي لم تعالج كذلك وجاء عنبها اجود من عنب غيرها

وقد وجد الاستاذ بارد انهُ اذا استعمل مجرىً كهربائيًّا قويًّا قوتهُ ٢٠٠٠ فولط او ٣٠٠٠ فولط زاد فعل الكهربائية في قتل الفيلكسرا واجادة الكروم وقد حصر امتياز استعمالها في شركة سويسرا المختصة بالكهربائية الزراعية

مدينة الحدائق

كانت سياسة اسمعيل باشا على غاية الحكمة والسداد من حيث تنظيم المدن ولم يكن في البلاد شركات مالية تفسد اعمالهُ فوهب احياء الاسمعيلية وما يليها جنوباً حتى شارع القصر العالي لاناس بنوا فيها البيوت الجميلة وغرسوا حولها الحدائق الغناء . وظلَّت البيوت وحدائقها مساكن للناس تنتقل من زيد الى عمرو بثمن بخس لا يفوق ما أُنفق عليها فيشترى البيت وحديقتهُ بالف جنيه او بالفي جنيه . ولكن انشئت الشركات حديثاً واشترت هذه البيوت وحدائقها نخربت المباني وقطعت الاشجار وجعلت تغالي بثمنها تبيعها وتشتريها حتى اصبح المتر

بعشرات الجنيهات بعد ان كان ثمنهُ اقل من عشرة غروش وامسى الخراب كثيراً كالبناء

ولو وقف الضرر عند هذا الحد لهان ولكن الشركات ابتاعت الاراضي التي حول العاصمة اشترتها بالفدان وقسمتها وجعلت تبيعها بالمتر وغالت بالثمن حتى صار المرء يعجز عن مشترى ارض زراعية يبني مسكناً فيها بل بلغ التضييق على الناس ان الصحاري التي اشترتها الشركات من الحكومة الفدان بجنيه قسمتها وهي تبيعها الآن المتر بجنيه وجنيهين ولا مراقب ولا مزاحم ولا مَن يسأل ولا مَن يمنع هذا الضرر الشامل

ولا بدَّ لسكان المدن الكبيرة من بيوت في ضواحيها يلجأُون اليها حينما يغلو عليهم السكن في المدينة وحينما تضطرهم صحتهم واشغالهم الكثيرة الى السكن في مكان مطلق الهواء وحينما ينقطعون عن الاعمال ويطلبون الراحة في أُخريات ايامهم . ولكل المدن ضواحٍ مثل هذه تقام فيها المنازل حولها الحدائق فيلجأُ اليها الناس ويتمتعون بطيب هوائها ويشغلون فضلات وقتهم بغرس الاشجار والازهار والبقول والرياحين من باب التسلية والفكاهة ومن باب الربح ولو كان قليلاً والارض في الضواحي تكون رخيصة جدًّا كالاراضي الزراعية حتى مدينة لندن وهي اكبر مدن العالم واهلها اغنى اهل الارض يباع الفدان في ضواحيها من ارض الجنائن المملوءَة بالاشجار المثمرة بمئة جنيه او باقل من ذلك ويبنى فيهِ بيت لا تزيد نفقات بنائهِ على مئتي جنيه الى ثلثمئة جنيه

وقد انشأ بعضهم مقالة في هذا الموضوع في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وبيَّن فيها ان في البلاد الانكليزية شركات تشتري الاراضي الزراعية حول محطات سكك الحديد في ضواحي مدينة لندن وتقسمها قطعاً كل قطعة منها فدان وتحفر فيها بئرًا وتغرس مئات من الاشجار المثمرة وتقيم فيها بيتاً صغيرًا تسقفهُ بالزجاج لتزرع فيهِ البقول التي لا تعيش في البلاد الباردة وتزرع فيها خمائل الازهار من الورد ونحوهِ وتقيم حولها سياجاً وتبيع الفدان كلهُ بما فيهِ من البئر والاشجار والازهار وبيت الزجاج بثمن بخس جدًّا متوسطهُ مئة جنيه

ثم قال الكاتب ان كثيرين اشتروا هذه القطع وبنوا بيوتاً جميلة فيها بالطوب الاحمر والبيت الذي فيهِ ست غرف لا تزيد اكلافهُ على مئتي جنيه الى مئتين وخمسين جنيهاً ومهما بالغ المالك في توسيع بيتهِ واتقانهِ لا تزيد اكلافهُ على الف جنيه

وهذه البيوت او الحدائق منتشرة حول مدينة لندن على مسافة ٢٥ ميلاً واجرة سكة الحديد اليها ثلاثة غروش فقط لمن يقطع تذكرة سنوية

ثم اشار بانشاء ضواحٍ مثل هذه حول المدن الكبيرة واسهب في شرح فوائدها . وقال

ان من جملة تلك الفوائد انها تغري الناس بزرع الجنائن واجتناء الاثمار والخضر فانهُ يرد الى البلاد الانكليزية كل سنة من الاثمار ما ثمنهُ احد عشر مليونًا من الجنيهات فاذا انشئت مدن الحدائق استغنت البلاد الانكليزية عن نصف الاثمار والخضر التي ترد اليها كل سنة. وغرس الجنائن من اوفر اعمال الزراعة ربحًا ولا سيما اذا جرى فيهِ الناس على الاساليب العلميَّة فغرسوا الاشجار حينما يجب ان تغرس وجنوا اثمارها حينما يجب ان تجنى وخدموها الخدمة اللازمة

وما يصدق على البلاد الانكليزية بنوع عام وعلى مدينة لندن بنوع خاص يصدق من باب اولى على هذا القطر وعلى مدينتيهِ الكبيرتين القاهرة والاسكندرية . قلنا من باب اولى لان الاراضي حولهما زراعية ينبت فيها كل شيء على مدار السنة . والبلاد لا تزال فقيرة جدًّا لا تستغني عن غرش تنفقهُ في جلب مواد الطعام من الخارج ومع ذلك يرد اليها كل سنة من الاثمار والبقول ما ثمنهُ نحو ستمئة الف جنيه وتباع للاهالي بمليون جنيه على الاقل وهم لو اعتنوا بزرع الجنائن حول المدن لاستغنوا عن كل ما يرد اليهم من الاثمار والبقول وصدَّروا جانبًا كبيرًا منها الى الخارج . ولكن الشركات سحرت الناس سحرًا واغرتهم ليغالوا بثمن ارضهم حتى صار المتر يباع بجنيه وجنيهين حيث كان يباع بغرش وغرشين فكيف يتسنى لاحد ان يشتري اربعة آلاف متر باربعة آلاف جنيه ليغرس فيها العنب والبرتقال ويزرع البطيخ والشمام واربعة آلاف الجنيه فائدتها السنوية لا تقل عن ٢٥٠ جنيهًا وفدان الاثمار والبقول لا يغل مئة جنيه فلا يشتري الفدان باربعة آلاف جنيه ليزرع اشجارًا وبقولاً الاَّ المجانين . ولقد كان الواجب ان تبقى ضواحي العاصمة على اسعارها الاصلية وهي ارض زراعية الفدان منها بعشرين جنيهًا الى ثمانين وتنشأ فيها السكك وتقسَّم وتباع باثمان معتدلة حتى لا يكون متوسط ثمن الفدان اكثر من مئة جنيه وحينئذٍ ترى الناس يهرعون اليها ويبنون المنازل فيها ويغرسون الجنائن

اما وقد ابتاعت الشركات كل الاراضي الزراعية تقريبًا فلم يبقَ للحكومة الاَّ ان تحتفظ باراضيها الباقية في ضواحي العاصمة والاسكندرية وتتولى هي تقسيمها وغرسها وبيعها بثمن بخس مشترطة على المشتري ان لا يشتري الاَّ قطعة واحدة ولا يبيعها لغيرهِ قبل ان يبني فيها بيتًا يكفي لسكن عائلة ويغرسها اشجارًا مثمرة فاذا فعلت ذلك اضطرت الشركات الى ترخيص ثمن ما ابتاعتهُ من الاراضي الزراعية واصحاب الاراضي الزراعية الى عدم المغالاة بثمنها فيزول هذا الضرر العام

اما ما تفعلهُ الحكومة المصرية الآن من بيع اراضيها بالمزاد فلا مزية لها فيهِ على ما تفعلهُ الشركات التي اضرَّت بالبلاد فكأنها وضعت يدها في يد الشركات لتزيد الضرر ضررًا

آلة جمع القطن

تألفت شركةٌ في اميركا رأس مالها خمسون الف جنيه لعمل آلة جمع القطن وهي تجمع القطن من لوزاتهِ بالامتصاص اي بتفريغ الهواء ويقول مخترع هذه الآلة انهُ واثق تمام الثقة بنجاح عملهِ . ولكن يبعد عن الظن ان تصنع آلة تقوم مقام يد الانسان وعقلهِ فتنوع عملها على حسب ما تراهُ من اللوز الذي تريد جمع قطنهِ

التين الملقح

لا يخفى ان التين البري يكون من نوع الذكر ويحمل اللقاح منهُ نوع من البعوض الصغير ويلقح بهِ التين الانثي ولكن ذلك غير مضطرد والغالب ان ينضج التين السوري غير ملقح بخلاف التين الازميري فانهُ يكون ملقحًا . والتين غير الملقح اشد حلاوة من التين الملقح وليس فيهِ بزر مثلهُ الَّا ان التين اليابس الملقح اثقل وزنًا من غير الملقح ويقال انهُ اطيب طعمًا لان في بزرهِ شيئًا من الزيت العطري

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ الامة القبطية

لمسز بُتشر قرينة الطيب الذكر المرحوم دين بتشر فضل لا ينكر على ابناء الامة القبطية لانها اشتغلت سنين كثيرة في جمع تاريخهم من زمن البطالسة الى الآن وتحقيق مسائلهِ وانشأت كتابًا مسهبًا في ذلك باللغة الانكليزية . وقد عني بترجمتهِ حضرة الاديب اسكندر افندي تادرس وطبع على نفقة حضرة الفاضل تادرس بك شنودة المنقبادي صاحب جريدة مصر وقد طبع منهُ حتى الآن ثلاثة مجلدات

قالت المؤلفة في مقدمة كتابها ان بحث الباحثين المدققين اثبت ان اعقاب المصريين

الاصليين الباقين الى الآن هم الاقباط المسيحيون وانها استعانت بكتاب سويرس اسقف الاشمونين الذي كتب تاريخ الكنيسة القبطية في القرن العاشر واتمهُ ميخائيل اسقف طانيس الى حد سنة ١٢٤٣

وقد تدرَّجت في تاريخ الامة القبطية وتاريخ الديار المصرية فذكرت تاريخها في القرن الاول المسيحي حينما شرع مرقص البشير في تبشير سكان مصر وجاءت على اكثر الحوادث الدينية والتاريخية كاضطهاد المسيحيين في زمن قياصرة الروم ووقوع الجدال بين آباء الكنيسة وحدوث البدع والانشقاق وفتح العرب للقطر المصري وانتشار الديانة الاسلامية فيهِ وتغلُّب حكامهِ على البلاد المجاورة لهُ الى اعالي السودان · واوردت فصولاً تاريخية يندر العثور عليها الاَّ في المكاتب الكبيرة كارسال القائد جوهر لاحمد بن سليم الى ملك النوبة يدعوهُ الى الاسلام ودفع الجزية ووصف هذا الرسول لبلاد النوبة حينئذٍ · ومما نقلتهُ عنهُ ان بلاد النوبة كانت مقسومة حينئذٍ الى مملكتين مقورة والوة وهما تبتدئان من الشلال الثالث الى ما يليهِ جنوباً وقد دُعي ملك النوبة باسم ملك مقورة نسبةً الى النصف الجنوبي من مملكتهِ التي عاصمتها دنقلا وهي تبعد خمسة عشر يوماً عن اصوان وقد شهد هذا الرحالة انهُ كلما توغل الانسان في هذه البلاد رأى الارض اكثر خصباً والامن اعظم انتشاراً · وقال انهُ بعد سفر يومين في داخلية النوبة يمرُّ الانسان على ثلاثين بلداً فيها الابنية الفخيمة والقصور الجميلة والكنائس الكبيرة والاديرة العظيمة والحدائق الغناء والرياض الفيحاء والحقول البديعة ترعى فيها الابل والمسافة من دنقلا الى حدود الوه اطول كثيراً من حدود اصوان وهناك ينقسم النيل الى نهرين الابيض والازرق وعند نقطة اتصالها مدينة تسمَّى صويح وهي عاصمة مملكة الوه وفيها القصور الشاهقة والمباني الفخيمة والحدائق الغناء والكنائس الغنيَّة بتحفها ومقتنياتها الذهبيَّة (وهناك بنيت الخرطوم بعد ذلك)

والتاريخ مسهب على هذه الصورة ولكننا رأينا فيهِ اشياء نرجح انها لم تكن في الاصل الانكليزي ولا هي من التاريخ في شيءٍ كوصفهِ ما جرى لارمانوسة وانطاقها باشعار عنتر فان كان ذلك مغتفراً في الروايات الموضوعة فهو جناية لا تغتفر اذا وضع في التاريخ لان ليس بين مكتوبات البشر شيءٌ مثل التاريخ يجب فيهِ الامتناع عن كل ما يخالف الحقيقة المجرَّدة فاذا قلنا قصداً ان الامر الفلاني حدث سنة ٩٥ مع انهُ حدث سنة ٩٧ نكون قد جنينا جناية لا تغتفر وضلَّلنا القراء واذا قلنا ان فلاناً نطق بهذا الكلام او بهذا الشعر وهو لم ينطق بهِ نكون قد كذبنا على قارئي التاريخ

ثم ان هذا التاريخ قد طبع على ورق سقيم لا يليق بهِ فعسى ان يطبَّق على اصلهِ الانكليزي ويطبع طبعة ثانية على ورق جيد حتى يليق ان يوضع في المكاتب مع امثالهِ من الكتب النفيسة

المجلَّة القبطية

اطلعنا على ثلاثة اعداد من هذه المجلة فرأيناها حسنة المواضيع تسهب في المباحث التاريخية ولا سيما ما يتعلق منها بالامة القبطية واللغة القبطية وتتصل في بحثها الى الامور التي عرفها الباحثون حديثاً . ويضطر منشئها احياناً ان يذكر رأيين مختلفين في الصفحة الواحدة كما في تفسير كلمة اثيوبيا فقد قال انها من القبطية ومعناها الحدود وقال في تلك الصفحة عينها انها من اليونانية ومعناها المحترقو الوجه . وفي هذا الجزء صورة كتاب قيل انهُ كتاب النبي محمد الى المقوقس وهو بالحرف الكوفي وقد وجد اصلهُ المسيو اتيان برتلمي سنة ١٨٥٠ ضمن كتب اشتراها من اخميم جلها بل كلها دشوت كثيرة من مخطوطات قبطية ومن ضمنها نسخة مجلدة برق غزال داخلها هذا الكتاب . الَّا ان كتابة المقوقس من المسائل الخلافية وقد قال فيها الدكتور بطلر نقلاً عن المسيو املينو انها من الاقاصيص الموضوعة (انظر كلام بطلر عن المقوقس في كتابهِ فتح مصر والاسكندرية صفحة ٥٢٠)

وفي الجزء الثالث جدول باحصاء سكان مصر في ازمنة مختلفة يقال فيهِ ان عددهم كان عشرين مليوناً الى اربعين مليوناً في القرن السادس قبل المسيح حسبما يستنتج من تقدير هيرودوتس (٢ : ١٧٧) الَّا ان كل ما قالهُ هيرودوتس في الكتاب الثاني والفصل ١٧٧ هو ان عدد المدن المأهولة لم يكن اقل من عشرين الفاً اي ان البلاد كانت كثيرة المدن والقرى الكبيرة . وذكر ديودورس الصقلي ان عددهم كان سبعة ملايين وكذلك يوسيفوس المؤرخ اليهودي قال ان عددهم كان سبعة ملايين ونصف مليون . وقال المحرر انهم كانوا وقت دخول العرب وفي ايام سليمان بن عبد الملك ثلاثين مليوناً وهو قول بعيد عن الصحة لان القطر المصري كاد يضيق بسكانهِ الآن مع ان وسائل الري اقوى واتم من كل ما استخدم فيهِ في كل الازمنة الغابرة ويظهر لنا ان عددهم لم يزد عن عشرة ملايين في عصر من العصور الغابرة

والمجلة حسنة الطبع جيدة الورق فنثني على همة منشئها الفاضل جرجس افندي فيلوثاوس عوض ونتمنى لها تمام النجاح

ديوان الشاب الظريف

الشاب الظريف او التلمساني شاعر مشهور نشأ في اواسط المئة السابعة للهجرة ولد بالقاهرة سنة ٦٦١ وتوفي بدمشق سنة ٦٨٨ للهجرة وشعرهُ رقيق رشيق ولهُ القصيدة المشهورة التي مطلعها

لا تخفِ ما فعلت بك الاشواقُ واشرح هواكَ فكلنا عشاقُ

والقصيدة التي مطلعها

حديثُ غرامي في هواك قديمُ وفرط عذابي في هواك نعيمُ

وقد طبع هذا الديوان طبعة جديدة منقحة مصححة في المطبعة الاهلية ببيروت وفسّرت الفاظهُ اللغوية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) المراهنة

نوفوهورزونت. الخواجه خليل اسطفان. قلتم في الجزء العاشر من السنة العاشرة ان انصار السباق ومحبيهِ يحللون المراهنة فيهِ فما هي المبادئ التي يعتمدون عليها في تحليلهِ

ج لا شبهة في ان المراهنة نوع من المضاربة والمقامرة في اعتمادها على الصدفة ولكن الاعمال كلها لا تخلو من فعل الصدفة فاذا زرعت الحنطة في حقلك فقد يقع المطر ويسقيها في الوقت المناسب وقد لا يقع او يقع ولا يكون وقوعهُ في الوقت المناسب وقد تقع فيها الحشرات فتتلفها وقد لا تقع ولذلك لا يمكن الحكم البات بما يبلغهُ موسم الحنطة في حقل او بلاد او في المسكونة كلها فيبلغ المتوسط في بعض السنين ويزيد عليهِ في غيرها وينقص عنهُ في غيرها. وقيسوا على ذلك موسم القطن والعنب والزيتون والحرير وكل اعمال الزراعة فان للصدفة يداً فيها كلها. وللصدفة يد في كل الاشغال التجارية والاعمال الصناعية حتى في حدوث

الامراض وشفائها . وقد اهتم الانسان كثيرًا بمقاومة الصدف والجري في اعمالهِ على قواعد مطردة كخزن الماء وقت وقوع المطر لاستعمالهِ وقت انحباس المطر واستخدم السفن البخارية بدل الشراعية لكي تصل متاجرهُ في الوقت المعين بدل بقائها تحت رحمة الرياح ولكنهُ لم يتخلص من فعل الصدف حتى الآن ولن يتخلص الَّا اذا عرف نواميس الكون وتحكم فيها كلها حتى بالهيجان الذي يحدث في جرم الشمس ويؤثر في الاحداث الجوية . فاذا كانت الصدفة تدخل في كل الاعمال فليس لتحريمها اساس طبيعي ادبي سوى تقليل الضرر ولذلك لا نهتم بعصف الرياح في الصحاري لان عصفها كيفما اتفق لا يضر بنا ولكننا نهتم بعصفها في البساتين لئلاَّ يضرَّ بالمزروعات فنحتاط لهُ بغرس الاشجار حولها. فان كان في المراهنة ضرر محض من غير نفع فهذا الضرر تجب ازالتهُ وان كان منها ضرر ونفع ينظر في الامر ويوازن بينهما . وللمراهنة فائدتان الاولى التسلية وهي شيء لا شبهة في نفعهِ والثانية الترغيب في اقتناء الخيول الجياد وهي لازمة للاعمال وللدفاع عن الوطن . ومنها ضرر كبير وهو انها قد تغري بعض الناس حتى يخسروا كل اموالهم ويكسبها منهم اناس محتالون لم يتعبوا في كسبها فاذا امكن تقييدها حتى لا تتجاوز خسارتها الَّا دريهمات قليلة ولا يقدم عليها الَّا الاغنياء او اذا جعلت الجعالة فيها علامة من علامات الشرف تعطى للسابق ويفتخر بها انصارهُ كما في الالعاب الاولمبيَّة خف ضررها بالنسبة الى نفعها او زال ضررها وبقي نفعها

(٢) الخمر ومرض الدماغ

طنطا. الخواجه يوسف حديده · انسان اصيب بمرض في دماغهِ مسبب عن شرب الخمر وعولج المرض فشفي تمامًا ولم يشرب الخمر بعد ذلك وهو عائش الآن عيشة مرتبة قانونية فهل لا يزال معرَّضًا لذلك المرض ولو لم يشرب الخمر

ج لا يمكن الحكم في هذه المسألة ما لم يعرف المرض لانهُ قد لا يكون مسببًا عن شرب الخمر بل جاء شرب الخمر مقويًا لهُ ومساعدًا على ظهورهِ · وعلى كل حال يجب عليهِ ان يبقى عائشًا العيشة المرتبة معتدلًا في كل شيء فان الاعتدال قوام الصحة

(٣) فائدة الكهرباء

ومنهُ · عندنا قطعة كهرمان (كهرباء) ثقلها نحو درهمين حككناها بالصوف وقرَّبناها من قطعة ورق صغيرة فجذبتها وكذلك جذبت قطعة خشب صغيرة فمن اين لها هذه القوة ولاي شيء يستعمل الكهرمان غير الحلى وهل يستخدم في توليد الكهربائية

ج ان قوة الجذب التي ظهرت فيهِ هي الكهربائية عينها . وهي تظهر في مواد كثيرة اذا فركت بقطعة من الصوف او الحرير ·

ولا يستعمل الكهرمان لشيء علمي غير اظهار فعل الكهربائية في التجارب العلمية مع انهُ كان مبدأ لاكتشاف الكهربائية الكثيرة الاستعمال في التلغراف والتلفون والنور الكهربائي وكل الآلات الكهربائية

(٤) السنة المالية العثمانية

مونتيريال بكندا . الخواجه جرجس حنا جرجور المارديني . نرى ان التاريخ الهجري المتداول عند المسلمين هو سنة ١٣٢٤ وابتداء السنة اول محرَّم والتاريخ المتداول في دوائر الحكومة العثمانية ١٣٢٠ وابتداء السنة اول اذار شرقي فلماذا هذا الفرق وما هو اصل هذا التاريخ الثاني

ج هو السنة المالية العثمانية واصلهُ ان الدفتردار عثمان افندي المورلي قدَّم تقريرًا الى الدولة العلية سنة ١٢٠٩ هجرية بيَّن فيهِ ان الخزينة تخسر من جعل بعض ايراداتها تابعًا لحساب السنة الشمسية ومصروفاتها لحساب السنة القمرية لان السنة القمرية اقل من السنة الشمسية بنحو ١١ يومًا وارتأى ان تجعل المصروفات ايضًا على حساب السنة الشمسية فقرَّرت الدولة حينئذٍ استعمال سنة شمسية مخصوصة بالامور المالية مبدأها الهجرة وشهورها سريانية ورومانية وجعل شهر مارس (اذار) اول هذه السنة لان الالتزامات كانت تدفع في فصل الربيع وقد تقدَّم ان السنة القمرية تنقص عن السنة الشمسية نحو ١١ يومًا فلما ابتدأت سنة ١٢٢١ القمرية كانت السنة المالية الشمسية لا تزال ١٢٢٠ بسبب هذا الفرق ولما ابتدأت سنة ١٢٥٥ المالية كان الفرق قد صار سنتين ثم صار ثلاث سنوات سنة ١٢٨٨ واربع سنوات سنة ١٣٢٠

(٥) الصرع

ومنهُ . من اي شيء يحدث داء الصرع المسمَّى بداء النقطة وهل من علاج يخففهُ

ج ان الاسباب المهيجة لهُ هي الخوف والحزن والتسنين والديدان واجهاد القوى العصبية وضربة الشمس والانفعالات النفسيَّة المختلفة ولكن هذه الاسباب قد لا تحدث الصرع في غير المعرَّضين لهُ بالفطرة . اما العلاج فبمنع العليل عن ايذاء نفسهِ وقت النوبة وبحل ثيابهِ وتعريضهِ للهواء النقي . ويعالج بين النوب باصلاح عاداتهِ وببروميد البوتاسيوم مع اليوديد او ببروميد الزرنيخ ولا بدَّ من استشارة الطبيب والاعتماد على علاجهِ

(٦) الجنسية الاميركية

ومنهُ . ما هو مركز العثمانيين في اوربا ومصر وتركيا اذا اتوا هذه البلاد وتجنسوا بالجنسية الانكليزية او الاميركانية

ج اذا تجنسوا بالجنسية الانكليزية خسروها بمجرَّد رجوعهم الى بلادهم بحسب

الاتفاق بين الدولتين واذا تجنسوا بالجنسية الاميركانية فالمسألة متنازَع فيها الدولة العثمانية تعتبرهم من رعاياها والجمهورية الاميركية تحميهم . هذا في كل الممالك العثمانية اما في اوربا فتكون لهم الجنسية التي تجنسوا بها ولكنها لا تفيدهم شيئًا اي لا تميزهم على السكان في شيءٍ من الحقوق سوى الخلاص من الخدمة العسكرية

باب الاخبار العلمية

الجمعية الكيماوية الفرنسوية

احتفلت الجمعية الكيماوية الفرنسوية في السادس عشر من شهر مايو الماضي بمرور خمسين سنة منذ تأسست وحضر الاحتفال نوّاب الجمعيات الكيماوية في المانيا وانكلترا وايطاليا وروسيا وسويسرا ونروج فتليت الخطب الكثيرة في فوائد علم الكيمياء للصحة والصناعة والزراعة وكل الاعمال . وزار المحتفلون معمل الخزف الصيني في سفْر حيث تظهر براعة الكيماويين الفرنسويين في استحضار الالوان التي يلوَّن بها الخزف وفي التحكُّم بالحرارة وقت شيهِ حتى يخرج ابيض ناصع البياض وشاهدوا انواع الخزف الصيني المجموعة من كل البلدان وحجارة الياقوت والصفير الصناعية والزمرُّد الصناعي ايضًا وهو لا يفرق عن الزمرُّد الطبيعي الاَّ بفعلهِ بالنور ولا يعرف ذلك الاَّ علماءُ البصريات . وأُولمت لهم وليمة في المساء في قصر دروسي حضرها وزير المعارف نيابة عن الجمهورية الفرنسوية وخطب خطبة نفيسة بيَّن فيها فوائد الجمعيات العلمية للعالم اجمع وفي اليوم التالي تلا رئيس الجمعية السابق خطبة عدَّد فيها اعمال اعضائها منذ تأسيسها الى الآن وهي مما تفتخر بهِ كل بلاد

ودعي المحتفلون الى سراي المجلس البلدي في الثامن عشر من الشهر وخاطبهم رئيس المجلس عن فائدة الكيمياء في اصلاح المدن وهو من علماء الكيمياء البيولوجية

شركة البواخر

انشئت في الشتاء الفائت شركة للبواخر باسم ” اجبشن مايل ستيمشب كمباني “ رئيس مجلس ادارتها اللورد ارمسترنغ واعضاؤُهُ بوغوص باشا نوبار والمسيو امبان وغيرهما من الماليين . فاوصت معمل فرفيلد في غلاسكو بان يصنع لها باخرتين ضخمتين من اجد طراز واحدتهِ تكون حمولة كل واحدة منهما

نحو ١٣ الف طن اي انهما تكونان اكبر من سائر بواخر شركات الملاحة التي تمخر بين مصر واوربا فتقطعان ما بين الاسكندرية ومرسيليا في سبعين ساعة بحيث تكون مدة سفرها اقصر بيومين من المدة التي تستغرقها البواخر الاخرى

وقد احتفل بانزال باخرة منهما الى الماء في ٢٨ مايو الماضي بحضور جمهور من المدعوين وسميت هليوبوليس وخطب اللورد ارمسترنغ في الاحتفال فاشار الى ارتقاء مصر وقال ان تينك الباخرتين تضارعان البواخر الكبيرة التي تسير في الاوقيانس الاتلنتيكي بين اوروبا واميركا . وخطب المستر جرسي من معمل فرفيلد فتكلم على زيادة الركاب بين مصر واوربا . اما الباخرة الاخرى فستسمى كايرواي " القاهرة " . وفي عزم الشركة ان تسير هاتين الباخرتين بين الاسكندرية ومرسيليا في اواخر هذه السنة

نبات الصحراء

يرى المرء في الصحراء نباتاً غليظ الورق والاغصان كثير الماء جدًّا كأَنَّ اعضاءهُ ازقة للماء . وهذا النبات ينبع كذلك حالما يقع في الصحراء قليل من المطر ثم يجف وييبس في وقت الحر ولا يبقى لهُ اثر ظاهر كنبات حي وتمضي السنة والسنتان ولا يظهر بخضرتهِ اذا لم يقع مطر . وحالما يقع المطر يخضرُّ وينبع كأَنهُ يحفظ قوتهُ الحيويَّة كل مدة القيظ ولو طالت اكثر من سنة . وقد وجد الآن ان فيهِ انسجة صفيقة تحفظ القليل من الماء الكافي لحفظ حياتهِ مهما اشتدَّ الحر والجفاف ومتى حان الوقت الذي يقع فيهِ المطر عادة اخرج فروعهُ لتستلقي ماء المطر وتعيش بهِ . وقد قُلع نبات مثل هذا ووضع على رف في دار كارنجي بوشنطون منذ سنة ١٩٠٢ فصار حينما يأْتي الفصل الذي يقع فيهِ المطر حيث كان نابتاً في بلادهِ يخرج اغصاناً دقيقة ولا تجد على الرف ماء تمتصهُ فتذوي وتيبس ثم يفرخ غيرها في السنة التالية . وهذا شأْنهُ منذ سنة ١٩٠٢ الى الآن وما فيهِ من الماء الاصلي كافٍ لحياتهِ

عمل البروتيين

البروتيين هو المادة المغذية في اللحم وما جرى مجراهُ وقد حاول بعض العلماء ان يصنعوهُ صنعاً كما يصنعون كثيرًا من المواد الكيماوية المركبة فاهتدوا الى طريقة يحلون بها بعض انواع البروتيين ثم يركبونها ثانية فتتركب كما كانت وهذه هي الخطوة الاولى في تركيب البروتيين فاذا نجحوا في تركيب كل انواعهِ من عناصرها البسيطة او من مواد غير آلية تحقق حلمٌ طالما حلم بهِ الكيماويون وهو ان يصنعوا غذاء الانسان

من مواد الارض والهواء ويستغنوا عن اكل الحيوان والنبات

منع غبار الشوارع

كان الفرنسويون يمنعون غبار الشوارع برشها بماء اذيب فيهِ كلوريد الكلسيوم واستمروا على ذلك من سنة ١٨٢٨ الى سنة ١٨٥٩ . وجرب حينئذٍ استعمال الحامض الهيدروكلوريك (روح الملح) مع الماء بناء على انهُ يتحد بالكلس الذي في التراب ويتولد منهُ كلوريد الكلسيوم . ثم أُهمل ذلك لكثرة نفقاتهِ . وسنة ١٨٧٣ جعل اهل روان يمزجون الماء الذي يرشون بهِ الشوارع بكلوريد الكلسيوم وداموا على ذلك عدة سنين . وفائدة كلوريد الكلسيوم انهُ يمتص الرطوبة من الهواء فتبقى الارض التي يقع عليها رطبة وهو مفيد ايضاً لانهُ من المطهرات المزيلات للعدوى . وقد ابان المسيو موزو انهُ اذا أُذيب رطل من كلوريد الكلسيوم في كل ثلاثين رطلاً من الماء فمن استعمال هذا الماء لرش الشوارع اقتصاد في النفقات يزيد على ثمن الكلوريد لان الشارع الذي يرش بهِ يبقى رطباً ستة ايام لا يحتاج فيها الى رش . وقد ابدل اهل روان كلوريد الكلسيوم بكلوريد المغنيسيوم لانهم يحسبونهُ اقوى على التطهير واذا اصاب الخشب وقاهُ من الاحتراق . ويقول المسيو موزو والمسيو لاروي ان كلوريد الكلسيوم افضل منهُ وانهُ يفضل على القطران والزيت لان رائحتهُ ليست كريهة

الباخرة الكبرى

بنت شركة النجم الابيض باخرة سمتها "الادرياتيك" وهي اكبر البواخر الموجودة الآن طولها ٧٢٥ قدماً و ٩ عقد وعرضها ٧٥ قدماً ونصف قدم وعمقها ٥٠ قدماً ومحمولها ٢٥ الف طن وتفريغها ٤٠ الف طن . والبواخر التي تتلوها في كبر جرمها اربع وهي

البلتك ومحمولها	٢٣٨٧٦	طناً
والاميركا «	٢٣٠٠٠	طن
والسدرك «	٢١٠٠٠	«
والسلتك «	٢٠٩٠٤	اطنان

والادرياتيك اكثر السفن زخرفةً وافخرها اثاثاً ورياشاً . وفيها تسع طبقات ينزلها المسافرون . وغرفة المائدة للدرجة الاولى تسع اربع مئة نفس يأكلون في وقت واحد . وغرف الدرجة الثانية والدرجة الثالثة على جانب عظيم من الزخرفة وقد بذلت العناية حتى يشعر من يركب هذه الباخرة انهُ في قصر فخيم على البر لا في سفينة تمخر في عرض البحر

الطاعون في الهند

لا يزال الطاعون منتشراً في بلاد الهند وقد توفي بهِ من غرة هذه السنة الى السادس عشر من شهر مارس الماضي

٢٥٤ ٠٣٣ نفساً مع انهُ لم يمت بهِ في العام الماضي كلهِ سوى ٣١٦ ٥٥٠ . وقد مات بهِ سنة ١٩٠٤ اكثر من مليون نفس وسنة ١٩٠٥ اكثر من ٩٤٦ الف نفس . وبلغ عدد وفياتهِ منذ فشا في بلاد الهند سنة ١٨٩٦ الى ١٦ شهر مارس الماضي ٤٧٦٧١٤١ اي نحو خمسة ملايين من النفوس فاذا حسبت خسارة البلاد من موت كل واحد من اهاليها الف ريال فقد خسرت بلاد الهند من تفشي الطاعون فيها ما يساوي ٤٧٦٧ مليون ريال او نحو الف مليون جنيه فلو انفقت الحكومة الانكليزية عشر هذا المبلغ الطائل من المال على البحث العلمي لاهتدى العلماء الى استئصال الطاعون وكل الاوبئة

سياحة سفدج لندر

عاد صديقنا الرحَّالة المشهور المستر سفدج لندر من رحلتهِ في افريقية التي اشرنا اليها في السنة الماضية وقد وصفها في خطبة القاها في دار العلم الملكية ببلاد الانكليز فقال انهُ قضى في هذه الرحلة ٣٦٤ يوماً قطع فيها افريقية من شرقيها الى غربيها حيث الوحشة فيها على اشدها وبلغت المسافة التي قطعها ٨٥٠٠ ميل . قام من جبوتي في بلاد الصومال وقطع بلاد الحبشة ووصل الى النيل على نحو ٧٠ ميلاً من فشودة جنوباً (وبعث الينا بتلغراف من هناك نشرناهُ في حينهِ) وعبر بحر الغزال ونهري مبومو واوبنجي في بلاد الكنغو الفرنسوية وزار ولاية الكنغو الحرَّة ثم سار في جهة الشمال الشرقي الى ان وصل بحيرة شاد فقطعها وزار بعض القبائل النازلة شماليها ثم قطع الصحراء الى مدينة تمبكتو وسار من هناك في بلاد السنجال الى الرأس الاخضر . واستعمل في رحلتهِ هذه كل اساليب الانتقال ما عدا البلون ولم يكن معهُ في وقت من الاوقات اكثر من ثلاثين دابة للحمل واربعين رجلاً . وقطع بلاداً ملارية تكثر فيها الحميات ولم يكن معهُ شيءٌ يذكر من الادوية ولا اهتمَّ باتقاء البعوض وتقطير الماء ومع ذلك اتمَّ رحلتهُ وهو على تمام الصحة . ولم يحمل سلاحاً وقد سلَّح رجالهُ بالبنادق ولكنهُ لم يعطهم رصاصاً ولم يكن معهُ رجل ابيض وقد قام بنفقات هذه الرحلة وحدهُ

ومَن سمع هذا الرحَّالة يقصُّ ما اصابهُ في بلاد تبت وما لقي فيها من الشدائد لا يعجب من قطعهِ قفار افريقية وخروجهِ منها سالمًا

نور الغاز

نور الغاز اسطع من النور الكهربائي اذا استعملت فيهِ شبكة اور وهو ارخص منهُ كثيرًا ولكن النور الكهربائي يفضل عليهِ بسهولة انارتهِ . وقد وجد بعضهم ان مزيج الحديد والسيريوم يقدح شررًا لاقل احتكاك فاستنبط قنديلاً للغاز اذا أُدير المفتاح الذي

يفتح الغاز فرك هذا المزيج المعدني فاخرج شرارة تشعل الغاز فصارت القناديل الغازية المصنوعة على هذه الصورة تضيء بسهولة كالقناديل الكهربائية . واستنبط آخر طريقة تُشعل بها قناديل الغاز كلها دفعةً واحدة ولا يخرج الغاز منها الاّ ويشتعل من نفسهِ حالاً وذلك انهُ اوصل بكل قنديل انبوباً دقيقاً يخرج الغاز منهُ حينما يكون مفتاح القناديل مقفلاً ويحفظ الغاز الخارج من هذه الانابيب الدقيقة شاعلاً فاذا فتح المفتاح الذي يطلق الغاز من القناديل الكبيرة اشتعل الغاز الخارج منها كلها دفعةً واحدةً وانسدت الانابيب الدقيقة في الوقت نفسهِ واذا ادير المفتاح حتى انطفأَت القناديل الكبيرة جرى الغاز في الانابيب الدقيقة واشتعل

سل البقر في البشر

لما اكتشف كوخ ميكروب السل او التدرُّن وثبت ان البقر تصاب بهِ رسخ في الاذهان ان عدوى هذا الداء الوبيل تنتقل من البقر المصابة بهِ الى الانسان الذي يأكل لحمها او يشرب لبنها . ولكن لما قام كوخ في مؤتمر السل منذ ست سنوات وقال ان سل البشر غير سل البقر وان ميكروبيهما مختلفان تمام الاختلاف فيسهل تمييز احدهما عن الآخر وانهُ حاول نقل عدوى السل من البشر الى البقر فلم يفلح ولم يحاول نقل عدوى السل من البقر الى البشر لان ذلك جناية ولكنهُ لم يرَ بين كل الذين فحص تدرنهم شيئاً من ميكروب سل البقر — لما قال ذلك وهو الثقة الذي اكتشف ميكروب السل قال كثيرون اذاً لا خوف من اكل لحم البقر المصابة بالتدرُّن ولا خوف من شرب لبنها

لكن كوخ لم يقطع بصحة النتيجة التي وصل اليها بل طلب من العلماء ان يبحثوا ويدققوا لعلهم يثبتوا نتيجتهُ او ينفوها . وقام جمهور كبير منهم في ذلك الاجتماع وخالفوهُ في رأْيهِ او اشاروا بالتأْني والبحث الدقيق قبل بت الحكم . وعينت الحكومة الانكليزية لجنة من كبار العلماء للبحث في هذا الموضوع فبحثت بحثاً طويلاً دقيقاً فثبت لها ان ميكروب سل البقر غير مكروب سل البشر كما قال كوخ ولكن ثبت لها ايضاً ان ميكروب سل البقر يفعل بالبشر ايضاً وفعلهُ بهم ذريع ولذلك ثبت ما كان مظنوناً قبلاً وهو ان اكل لحم البقر المصابة بالتدرن وشرب لبنها لا يخلوان من الخطر ويجب ان تمنعهما الحكومة منعاً باتاً

زيبرا جديد

اكتشف الرحالة المستر سبيرس زيبرا جديداً في افريقية لم يرهُ احد من الاوربيين قبل الآن على ما يظهر رأْسهُ وعنقهُ وصدرهُ ويداهُ غير مخططة وسائر بدنهِ مخطط كتخطيط الزيبرا العادي

فهرس الجزء السابع من المجلد الثاني والثلاثين

٥٢١ جراحة السفن (مصوَّرة)
٥٢٤ التوقيت القديم · ر · ن
٥٣٠ المحاضرة الشعريَّة · لرشيد افندي عطيه
٥٣٥ التنويم . للدكتور امين ابو خاطر
٥٤٣ مغاوص سيلان
٥٤٨ فوضى الكتَّاب . ي · ي
٥٥٢ الفلسفة السريانيَّة · م · ي
٥٥٤ احتضارات · لديمتري افندي نجار
٥٥٦ الفلسفة العملية
٥٦٢ النقود القديمة . لاحد المهتمين بهذا العلم
٥٦٨ حمَّى مالطة
٥٧٠ السر بنيامين باكر

* * *

٥٧١ باب تدبير المنزل * لمن الرئاسة في العائلة · ثلاث فوائد طبية منزلية · الروائح العطرية تهوية غرف النوم · ادارة البيت
٥٧٧ باب المراسلة والمناظرة * التعليم بالعربية · احصاء سكان العاصمة · الضيق المالي
٥٨٣ باب الزراعة * نخل العراق · القطن وحال البلاد · الكهربائية في الزراعة · مدينة الحدائق آلة جمع القطن · التين الملقح
٥١٠ باب التقريظ والانتقاد * تاريخ الامة القبطية · المجلة القبطية · ديوان الشاب الظريف
٥٩٣ باب المسائل * المراهنة · الخمر ومرض الدماغ · فائدة الكهرباء · السنة المالية العثمانية · الصرع الجنسية الاميركية
٥٩٥ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١١ نبذة

رواية اميرة انكلترة ملحقة بالمقتطف